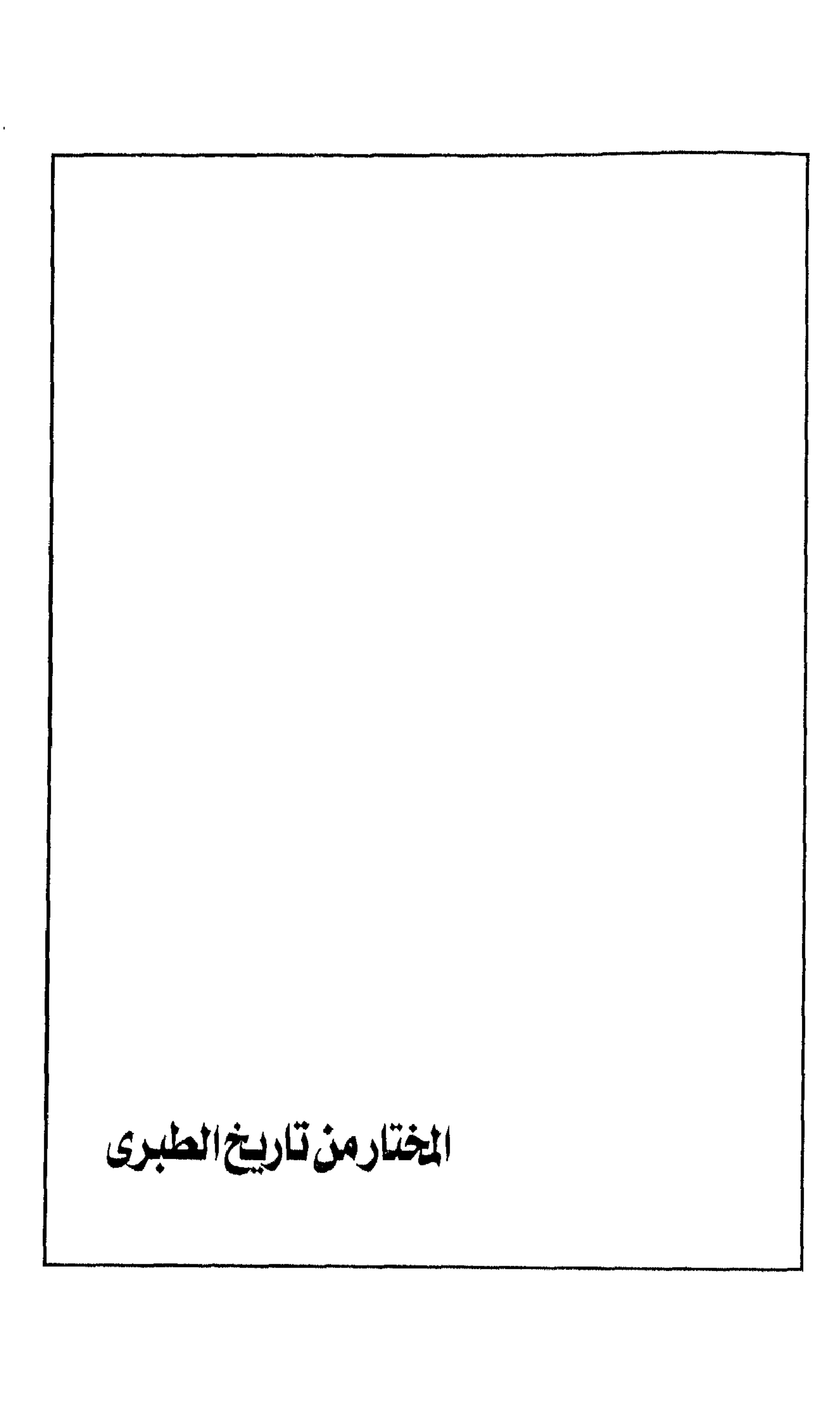
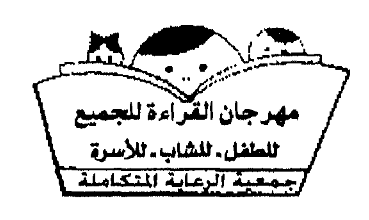
المختار من

تاريخ الطبرى

إعداد وتقديم

د. سمير سرحان   د . محمد عنانى


المختار من تاريخ الطبرى



مهرجان القراءة للجميع ٩٩

مكتبة الأسرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

(سلسلة التراث)

المختار من تاريخ الطبرى

إعداد وتقديم : د. سمير سرحان د. محمد عنانى

الجهات المشاركة:
جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التعليم
وزارة التنمية الريفية
المجلس الأعلى للشباب والرياضة
التنفيذ : هيئة الكتاب

الغلاف
والإشراف الفنى:
الفنان: **محمود الهندى**
المشرف العام:
د. سمير سرحان

على سبيل التقديم

وتمضى قافلة «مكتبة الأسرة» طموحة منتصرة كل عام، وها هى تصدر لعامها السادس على التوالى برعاية كريمة من السيدة سوزان مبارك تحمل دائمًا كل ما يثرى الفكر والوجدان ... عام جديد ودورة جديدة واستمرار لإصدار روائع أعمال المعرفة الإنسانية العربية والعالمية فى تسع سلاسل فكرية وعلمية وإبداعية ودينية ومكتبة خاصة بالشباب. تطبع فى ملايين النسخ التى يتلقفها شبابنا صباح كل يوم .. ومشروع جيل تقوده السيدة العظيمة سوزان مبارك التى تعمل ليل نهار من أجل مصر الأجمل والأروع والأعظم.

سمير سرحان

تصـــدير

ما زال كتاب تاريـخ الرسل والملوك لابن جرير الطبرى المرجع الأول للأحداث التى جرت فى عصره ، وقد سبق لمكتبة الأسرة أن قدمت القصة الكاملة لتاريخ ثورة الـزنج والقضاء عليهـا بعد أن أقضت مـضجع الدولة العباسية أربعة عشر عامًا تقـريبًا ، وتقدم مكتبة الأسرة فى هذا العام قصة القـرامطة من المصدر الأول لهـا (حتى وفـاة الطبرى) ثم تسـتكمل هذه القصــة من ذيل تاريخ الطبرى (أو أحد ذيوله) وهو كـتاب تكملة تاريخ الطبرى لمحمد بـن عبد الملك الهمذانـى ، حتى عام ٣٦٧ هـ الذى يعـتبر النهاية الفعلـية لهذه الفتنة التى جرت الأهوال على الـعالم الإسلامى على مدى ما يقرب من قرن كامل .

ويجد القارئ فى هذه المخـتارات رصدًا ممتعًا لنشأة حـركة القرامطة ، وتطور صراعـهم مع الدولة العباسـية ، فى إطار أحداث سنوات مخـتارة نشطوا فيها ، فالجـو العام هو الذى تكتمل به الصورة ، وأسلوب الطبرى فريد فى دقته وبراعة وصفه لما يرويه ، فلقد جرى العرف على اعتبار بداية الحركة عام ٢٨٦ هـ (٨٩٩ م) إذ هو العام الذى برز فيه نشاط سعيد بن

الحسن الجنّابى ، ولكن الطبرى يرصد بدايتها فى عام ٢٧٨ هـ أى قبل الشائع بنحو ست سنوات ، وكان سعيد المذكور ذا دعوة إسماعيلية قريبة من مذهب الفاطميين ، وأما التسمية فينسبها الطبرى إلى صاحب الدعوة الأول ، إذ يقول إن اسمه هو (كرميت) التى خففت إلى « قرمط » ، ويذهب بعض الباحثين إلى أن الاسم قد عُرِّب لأنه فيما يبدو تركى ، ومن ثم فهو ينطق بفتح القاف وكسر الميم ، وإن كان الشائع غير ذلك .

والمعروف أن القرامطة اتخذوا البحرين والإحساء مقراً لنشاطهم ، وكانوا يغيرون على المواقع القريبة منهم ، ثم اجتاحوا البصرة والكوفة ، ودخلوا مكة وأخذوا الحجر الأسود ، ثم دانت لهم معظم مناطق شرق الجزيرة العربية .

واستمر نشاط القرامطة الذى يصوره الطبرى تصويراً نابضًا بالحياة فى العقود الأولى من القرن الرابع الهجرى ، حتى توفى أبو طاهر سليمان (وهو ابن سعيد المذكور) فأخذت سلطة القرامطة فى التراجع ، وتمكن الفاطميون من إقناعهم برد الحجر الأسود إلى مكة ، فردوه على نحو ما يذكر الطبرى .

وخلف أبو طاهر المذكور زعيم قرمطى جديد هو الحسن بن الأعصم، ابن أخيه ، فقام بغزو الشام بالاشتراك مع جيش فاطمى ، ولكن الجيش الفاطمى الرئيسى كان يخطط لفتح الشام ونجح فى ذلك عام ٣٥٨ هـ (٩٦٩ م) ومن ثم تحولت النظرة إلى القرامطة إلى نظرة عداء ، وإن كان

الزعماء الفاطميون مارسوا الكياسة واللباقة فى صراعهم مع ما بقى من قادة هذه الحركة ، على نحو ما يصوره الطبرى ، فحاربوهم وفى أذهانهم أن يقضوا عليهم بأسلوب (السلم المراوغ) كما يقال فى مصطلح السياسة الحديثة ، إذ جهد الفاطميون فى حصر نشاط القرامطة على (مشارف البلدان والثغور) ، ولذلك حاربوهم عندما استولوا على دمشق عام ٣٦٠ هـ (٩٧١ م) وردوهم على أعقابهم عند محاولتهم غزو مصر ، ثم عقدوا معهم لونا من الصلح الذى ساعد على تفتيت الحركة فى النهاية .

وتقف الرواية التى يوردها الهمذانى فى ذيل كتاب الطبرى عند عام ٣٦٧ هـ (٩٧٨ م تقريبًا) وهو عام وفاة الحسن الأعظم ، وانتهاء رياسة القرامطة إلى مجلس (بتعبيرنا الحديث) من (السادة) . ونحن نعرف من كتب التاريخ مدى نجاح الفاطميين فى احتواء هذه الحركة حين تقرأ أسلوب تعامل قادتهم مع هؤلاء المتمردين ، إذ أصبح نشاطهم مقصورًا على الإحساء ، وكان أسلوب الفاطميين أسلوب دهاء ومكر ، إذ بدأوا بدفع إتاوة مالية لهم ثم دبروا للانقضاض عليهم ، وتدريجيًا فقد القرامطة نفوذهم فى شرق الوطن العربى ، وفقدوا السيطرة على عمان ، ثم هاجمهم البويهيون (من بغداد) فى الأحساء نفسها ، وهى قلعتهم الحصينة ، فتشتت جمعهم وتفرق شملهم ، وما هى إلا سنوات معدودة حتى لا نكاد نسمع عنهم أخبارًا - بل قبل نهاية القرن الرابع الهجرى .

ويسر مكتبة الأسرة أن تقدم هذه المقتطفات التى انتخبت بعناية من تاريخ الطبرى ، حتى يستمتع بها القارئ العربى الذى كثيراً ما يسمع عن القرامطة دون أن يعرف طابع هذه الحركة وأبعادها الحقيقية . ونأمل أن نكون بذلك قد ألقينا الضوء على بقعة ما زالت غامضة فى أذهان الكثيرين من بقاع التاريخ العربى والإسلامى .

والله من وراء القصد

مكتبة الأسرة

ذكر ابتداء أمر القرامطة

سنة ٢٧٨ هـ

وفيهـا وردت الأخبار بحَركة قوم يُعرفـون بالقَرامطة بسواد الكُوفة ؛ فقام ابتداء أمرهم قدومُ رجل من ناحية خُوزستان إلى سَوَاد الكوفة ومُقامه بموضع منه يقال له النهرين ، يُظهر الزّهد والتقشف ، ويَسُفُّ الخُوصَ[١] ، ويأكل من كسبه ، ويُكثر الصلاة ، فأقام على ذلك مدّة ، فكان إذا قعد إليه إنسان ذاكره أمرَ الدين ، وزهَّده في الدنيا ، وأعلمه أنّ الصلاة المفترضة على الناس خمسون صلاة في كلّ يوم وليلة ؛ حتى فشا ذلك عنه بموضعه، ثم أعلمهم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول ، فلم يزل على ذلك يقعدُ إليه الجماعة فيخبرهم من ذلك بما تعلّق قلوبهم، وكان يقعد إلى بقّال في القرية ؛ وكان بالقرب من البَقال نخلٌ اشتراه قوم من التجار ، واتخذوا حظيرةً جمعوا فيها ما صَرَمُوا[٢] من حمل النخل ،

(١) سف الخوص : نسجه .

(٢) صرام النهلة : مطلع ثمرتها .

وجاءوا إلى البقال فسألوه أن يطلب لهم رجلاً يحفظ عليهم ما صرموا من النخل ، فأومى لهم إلى هذا الرجل ، وقال : إن أجابكم إلى حفظ ثمرتكم ، فإنه بحيث تحبّون ، فناظروه على ذلك ، فأجابهم إلى حفظه بدراهم معلومة ؛ فكان يحفظ لهم ، ويصلّى أكثر نَهاره ويصوم ، ويأخذ عند إفطارِه من البقال رطل تمر ، فيُفطر عليه ، ويجمع نوى ذلك التمر .

فلما حمل التجار ما لهم من التمر ، صاروا إلى البقّال ، فحاسبوا أجيرهم هذا على أجرته ، فدفعوها إليه ، فحاسب الأجير البقال على ما أخذ منه من التمر ، وحطّ من ذلك ثمن النوى الذى كان دفعه إلى البقّال ؛ فسمع التجار ما جرى بينه وبين البقال فى حقّ النوى ، فوثبوا عليه فضربوه ، وقالوا : ألم ترضَ أن أكلت تمرًنا حتى بعت النوى ! فقال لهم البقال : لا تفعلوا ، فإنه لم يمسّ تمركم ؛ وقصّ عليهم قصته ، فندموا على ضربهم إياه ، وسألوه أن يجعلهَم فى حِلّ ، ففعل . وازداد بذلك نُبْلاً عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زُهده .

ثم مرض ، فمكث مطروحًا على الطريق ، وكان فى القرية رجلٌ يُحمل على أثوار له ، أحمر العينين شديدة حمرتهما ، وكان أهل القرية يسمّونه كرميته لحمرة عينيه ، وهو بالنبّطية أحمر العينين ، فكلّم البقال كرميته هذا ، فى أن يحمل هذا العليل إلى منزله ، ويُوصى أهله بالإشراف عليه والعناية به ؛ ففعل وأقام عنده حتى برأ ، ثم كان يأوى

إلى منزله ، ودعا أهلَ القـرية إلى أمره ، ووصف لهم مذهبَه ، فـأجابه أهلُ تلك الناحـيـة ، وكـان يأخذ من الرّجـل إذا دخلَ فى دينه ديناراً ؛ ويزعم أنه يأخـذ ذلك للإمـام ؛ فـمكث بـذلك يدعُو أهلَ تلك القـرى فيـجيبـونه . واتّخذ منهم اثنى عشـر نقيبًا ، أمـرهم أن يدعو الناس إلى دينهم ، وقال لهم : أنتم كحواريِّى عيـسى بن مريم ؛ فاشتغل أكرَة تلك الناحيـة عن أعمـالهم بما رَسم لهم من الخمـسين الصلاة التى ذكـر أنها مفترضَة عليهم .

وكان للهيَصْمَ فى تلك الناحية ضياع ، فوقف على تقصير أكرَته فى العمـارة ، فسأل عن ذلك ، فأخـبِر أن إنسانًا طرأ عليهم ، فـأظهر لهم مذهبًا من الدين ، وأعلمهم أنّ الذى افترضه الله عليهم خمسون صلاة فى اليوم والليلة ، فـقد شغلوا بـها عن أعمـالهم ، فوجّه فى طلبه ، فـأُخذ وجىء به إليه ، فسأله عن أمره ، فأخبره بقصتّه ، فحلف أنه يقتله .

فأمر به فحبس فى بيت ، وأقـفل عليه الباب ، ووُضع المفتاح تحت وسـادته ، وتشاغـل بالشرب ، وسـمع بعض مَنْ فى داره من الجـوارى بقصـتّه فرّقت له . فلما نام الهـيصم أخذت المفتـاح من تحت وسادته ، وفتحت الباب وأخرجته ، وأقـفلت الباب ، وردّت المفتاح إلى موضعه . فلمّا أصبح الهـيصم دعا بالمـفتاح ففـتح الباب فلم يجـده ، وشاع بذلك الخبـر ، ففُتن به أهل تلك الـناحية ، وقـالوا : رُفع ثم ظهر فـى موضع آخر . ولقى جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصتّه ، فقال : ليس

يمكن أحداً أن يبدأني بسوء، ولا يقدر على ذلك منى ، فعظم فى أعينهم، ثم خاف على نفسه ، فخرج إلى ناحية الشآم ، فلم يُعْرَف له خبر ، وسمِّىَ باسم الرّجل الذى كان فى منزله صاحب الأثوار كَرْميتَهْ ، ثم خُفِّف فقالوا : قرمط .

ذكر هذه القصة بعض أصحابنا عمّن حدثه ، أنه حضر محمد بن داود بن الجرّاح ، وقد دعا بقوم من القرامطة من الحبس ، فسألهم عن زكرويه ، وذلك بعدما قتله ، وعن قرمط وقصّته ، وأنهم أوموا له إلى شيخ منهم ، وقالوا له : هذا سلف ذكرويه ، وهو أخبر الناس بقصّته ، فَسلْه عما تريد ، فسأله فأخبره بهذه القصة .

وذكر عن محمد بن داود أنه قال : قرمط رجل من سواد الكوفة ، كان يحمل غلاّت السواد على أثوار لـه ، يسمَّى حمدان ويلقب بقرمط . ثم فشا أمرُ القرامطة ومذهبهُم ، وكثروا بسواد الكوفة ، ووقف الطائىّ أحمد بن محمد على أمرهم ، فوظّف على كلّ رجل منهم فى كلّ سنة ديناراً ، وكان يجبى من ذلك مالاً جليلا ، فقدم قوم من الكوفة فرفعوا إلى السلطان أمرَ القرامطة ، وأنهم قد أحدثوا ديناً غير الإسلام ، وأنهم يرْون السيف على أمّةِ محمد إلا مَنْ بايعهم على دينهم ، وأن الطائىّ يخفى أمرهم على السلطان . فلم يلتفت إليهم ، ولم يسمع منهم ، فانصرفوا ، وأقام رجل منهم مدة طويلة بمدينة السلام ، يرفع ويزعم أنه

لا يمكنه الرجوع إلى بلده خوفًا من الطائىّ . وكـان فيما حكوا عن هؤلاء القرامطة من مذهبهم أن جاءوا بكتاب فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم. يقول الفرج بن عثـمان ؛ وهو من قرية يقال لهـا نَصْرانة ، داعيـة إلى المسـيح ، وهو عيـسى ، وهو الكلمـة ، وهو المهـدىّ، وهو أحمد بـن محمـد بن الحنفـيّة ، وهو جبريـل . وذكر أنّ المسـيح تصوّر له فـى جسم إنسـان ، وقـال له : إنك الدّاعيـة ، وإنك الحجة، وإنك الناقـة ، وإنك الدّابة ، وإنك روح القدس ، وإنك يحيى ابن زكـرياء . وعرّفـه أن الصـلاة أربع ركـعات : ركـعتـان قـبل طلوع الشمس، وركعتان قبل غروبها ؛ وأنّ الأذان فى كلّ صلاة أن يقول : الله أكبـر ، الله أكبـر ، الله أكبر ، الله أكـبر ، أشـهد أن لا إله إلا الله ؛ مرتين أشهـد أنّ آدم رسول الله ، أشهد أنّ نوحًا رسـول الله ، أشهد أنّ إبراهيم رسـول الله ، أشهد أنّ مـوسى رسول الله ، وأشـهد أن عـيسى رسول الله ، وأشهد أن مـحمدًا رسول الله ، وأشهد أن أحمـد بن محمد ابن الحنفيّة رسـول الله ؛ وأن يقرأ فى كلّ ركعـة الاستفـتاح ؛ وهى من المنزّل على أحمد بن حمد بن الحنفية . والقبلة إلى بيت المقدس ، والحجّ إلى بيت المقدس ، ويوم الجمعة يـوم الاثنين لا يُعمل فيه شىء ، والسورة الحمـد لله بكلمتـه ، وتعالى باسمـه ، المتّخذ لأوليائـه بأوليائه . قل إن الأهلة مواقـيت للناس ؛ ظاهرها ليـعلم عدد السنين والحـساب والشـهور والأيام ، وباطنُها أوليـائى الذين عرّفوا عـبادى سبـيلى . اتقونِ يا أولى

الألباب ؛ وأنا الذى لا أسأل عمّا أفعل ، وأنا العليم الحكيم ، وأنا الذى أبلُوا عبادى ، وامتحن خَلْقِى ؛ فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى ألقيتُه فى جنتى ، وأخلدته فى نعمتى ، ومَنْ زال عن أمرى ، وكذّب رسلى ، أخلدته مهانا فى عذابى ، وأتممتُ أجلى ، وأظهرتُ أمرى ؛ على ألسنة رُسُلِى ؛ وأنا الذى لم يعلُ علىّ جبار إلا وضعتُه ، ولا عزيزٌ إلا أذللتُه ؛ وليس الذى أصرّ على أمره ودوام على جهالته ، وقالوا : لن نبرح عليه عاكفين ، وبه مؤمنين : أولئك هم الكافرون .

ثم يركع ويقول فى ركوعه : سبحان ربى ربّ العزة وتعالى عما يصف الظالمون ! يقولها مرتين ، فإذا سجد قال : الله أعلَى ، الله أعلى ، الله أعظم ، الله أعظم .

ومن شرائعه أنّ الصوم يومان فى السنة ، وهما المِهرجان والنوْروز ؛ وأن النّبيذ حرام والخمر حلال ؛ ولا غُسْلَ من جنابة إلا الوضوء كوضوء الصلاة ، وأنّ مَنْ حاربه وجب قتْله ، ومن لم يحاربه ممن خالفه أخِذَت منه الجزية ولا يُؤكل كلّ ذى ناب ، ولا كلّ ذى مِخْلب .

*

وكان مصير قَرْمط إلى سَواد الكوفة قبل قتل صاحب الزّنْج ؛ وذلك أن بعض أصحابنا ذكر عن سلف زكرويه أنه قال : قال لى قَرْمط : صرتُ إلى صاحب الزّنْج ، ووصلت إليه ، وقلت له : إنى على مذهب، وورائى مائة ألف سيف ؛ فناظرْنى ، فإن اتفقنا على المذهب

ملتُ بمَنْ معى إليك ، وإن تكن الأخرى انصرفتُ عنك . وقلت له : تعطينى الأمان ؟ ففعل .

قال : فناظرته إلى الظهر ، فتبّين لى فى آخر مناظرتى إياه أنه على خلاف أمرى ، وقام إلى الصلاة ، فانسللت ، فمضيتُ خارجا من مدينته ، وصرت إلى سواد الكوفة .

*

سنة ٢٧٩ هـ : أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من أمر السلطان بالنداء بمدينة السلام ؛ ألاّ يَقعدُ على الطريق ولا فى مسجد الجامع قاصّ ولا صاحب نجوم ولا زاجر ؛ وحُلّف الورّاقون ألا يبيعوا كتبَ الكلام والجدَل والفلسفَة .

وفيها خُلع جعفر المفوّض من العهد لثمان بقين من المحرّم .

وفى ذلك اليوم بويع للمعتضد بأنه ولىّ العهد من بعد المعتمد ، وأنشئت الكتب بخلع جعفر وتولية المعتضد ، ونفّذتْ إلى البلدان ، وخُطب يوم الجمعة للمعتضد بولاية العهد ، وأنشئت عن المعتضد كتب إلى العمال والولاة ؛ بأنّ أمير المؤمنين قد ولاّه العهد ، وجعل إليه ما كان الموفّق يليه من الأمر والنهى والولاية والعزل .

وفيها قُبض على جرادة ، كاتب أبى الصَّقْر لخمس خلوْن من شهر

ربيع الأول ، وكان الموفّق وجّهه إلى رافع بن هرثمة ، فقدِم مدينة السلام قبل أن يُقبَض عليه بأيام .

وفيها انصرف أبو طلحة منصور بن مسلم من شهرزور لست بقين من جُمادى الأولى - وكانت ضُمْت إليه - فقُبِض عليه وعلى كاتبه عَقامة ، وأودِعَا السجْن ؛ وذلك لأربع بقين من جمادى الأولى .

*

[ذكر خبر الفتنة بطرسوس]

وفيها كانت الملحمة بطرَسُوس بين محمد بن موسى ومكنون غلام راغب مولى الموفّق ؛ فى يوم السبت لتسع بقينَ من جُمادى الأولى؛ وكان سبب ذلك - فيما ذكر - أن طُغْج بن جُفّ ، لقىَ راغبًا بحلب ، فأعلمه أن خَمارويه بن أحمد يحبّ لقاءه ، ووعده عنه بما يحبّ ؛ فخرج راغب من حلَب ماضيًا إلى مصر فى خمسة غلمان له ، وأنفذ خادمَه مكنونًا مع الجيش الذى كان معه وأمواله وسلاحه إلى طَرَسوس . فكتب طُغْج إلى محمد بن موسى الأعرج يُعلمه أنه قد أنفذ راغبًا ، وأن كلّ ما معه من مال وسلاح وغلمان مع غلامه مكنون ، وقد صار إلى طَرَسُوس، وأنه ينبغى له أن يقبض عليه ساعةَ يدخل وعلى ما معه . فلما دخل مكنون طَرَسُوس وثب به الأعرج ، فقبض عليه ووكّل بما معه ، فوثب أهل طرسوس على الأعرج ، فحالوا بينه وبين مكنون ، وقبضوا على الأعرج

فحبسوه فى يد مكنون ، وعلموا أنّ الحيلة قد وقعت براغب ؛ فكتبوا إلى خمارويه بن أحمد يعلمونه بما فعل الأعرج ، وأنهم قد وكّلوا به ، وقالوا: أطلق راغبا لينفذ إلينا حتى نطلق الأعرج ، فأطلق خمارويه راغبًا، وأنفذه إلى طَرَسُوس ؛ وأنفذ معه أحمد بن طُغان واليًا على الثغور، وعزل عنهم الأعرج ، فلمّا وصل راغب إلى طَرَسوس أطلق محمد بن موسى الأعرج ، ودخل طَرَسوس أحمد بن طُغان واليًا عليها وعلى الثغور ومعه راغب ، يوم الثلاثاء لثلاث عشرة خلت من شعبان .

*

[خبر وفاة المعتمد]

وفيها توفِّيَ المعتمد ليلة الاثنين لإحدى عشرة ليلة بقيت من رجب ، وكان شرب على الشطّ فى الحَسَنىّ يوم الأحد شرابا كثيرًا ، وتعشّى فأكثر، فمات ليلا ، فكانت خلافته ثلاثا وعشرين سنة وستة أيام - فيما ذُكر .

خلافة المعتضد

وفى صَبيحة هذه الليلة بُويع لأبى العباس المعتضد بالله بالخلافة ، وولّى غلامه بدرا الشرطة وعبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة ومحمد ابن الشاد بن ميكال الحرس ، وحجبة الخاصة والعامة صالحا المعروف بالأمين ، فاستخلف صالح خفيفا السمرقندىّ .

ولليلتين خَلَتا من شعبان فيها قدِم على المعتضد رسولُ عمرو بن الليث الصفّار بهدايا ، وسأل ولاية خُراسان ، فوجّه المعتضد عيسى النُّوشِرىَّ مع الرسول ، ومعه خلع ولواء عقده له على خراسان ، فوصلوا إليه فى شهر رمضان من هذه السنة ، وخُلع عليه ، ونُصب اللواء فى صحن داره ثلاثة أيام .

*

وفيها ورد الخبر بموت نصر بن أحمد ، وقام بما كان إليه من العمل وراء نهر بلْخ أخوه إسماعيل بن أحمد .

وفيها قدم الحسين بن عبدالله المعروف بابن الجصّاص من مصر رسولا لخمارويه بن أحمد بن طولون ، ومعه هدايا من العين ؛ عشرون حملاً على بغال وعشرة من الخدم وصندوقان فيهما طراز وعشرون رجلا على عشرين نجيبا ، بسروج محلاّة بحلية فضّة كثيرة ، ومعهم حراب فضّة ، وعليهم أقبِيةُ الدّيباج والمناطق المحلاّة وسبع عشرة دابة ، بسروج ولجم ، منها خمسة بذهب والباقى بفضة ، وسبع وثلاثون دابّة بجلال مشهّرة ، وخمسة أبغل بسروج ولجم وزرّافة ، يومَ الاثنين لثلاث خلوْن من شوّال ، فوصل إلى المعتضد ، فخلع عليه وعلى سبعة نفر معه . وسفَر ابن الجصاص فى تزويج ابنة خمارويه من علىّ بن المعتضد ، فقال المعتضد أنا أتزوّجها ، فتزوّجها .

سنة ٢٨٠ هـ : أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من أخـذ المعتضد عبدَ الله بن المهتـدى ومحمد بن الحسن بن سهـل المعروف بشيْلَمة - وكان شَيْلمـة هذا مع صاحب الزَّنْج إلى آخـر أيامه ، ثم لحق بالموفّق فى الأمـان فآمنه - وكـان سبب أخـذه إياهما أنّ بعض المستأمنة سعى به إلى المعـتضد ، وأعلمـه أنه يدعو إلى رجل لم يوَقف على اسمه ، وأنه قد استفـسد جماعةً من الجند وغيرهم ، وأخذ معه رجل صيدنانىّ وابن أخ له من المدينة ، فقرّره المعتضد فلم يقرّ بشىء ، وسأله عـن الرجل الذى يدعُوا إليه ، فلم يقـرّ بشىء ، وقال : لو كان تحت قدمى ما رفعتهما عنه ، ولو عملتنى كرْدَناك لما أخبرتك به؛ فأمـر بنار فأوقدَتْ ، ثم شُدّ على خشـبة من خـشب الخيم ، وأدير على النار حتى تقطَّع جلده ، ثم ضُربت عنقه ، وصُلب عند الجسر الأسفل فى الجانب الغربىّ .

وحُبِس ابن المهـتـدى إلى أن وقف علـى براءته ، فـأطلق ، وكـان صَلْبه لسبع خلوْن من المحرّم .

فـذُكر أن المعـتضـد قال لشـيْلمة : قـد بلغنى أنك تدعـو إلى ابن المهتدى، فقـال : المأثور عنى غير هذا ، وأنى أتولّى آل ابن أبى طالب - وقد كان قرّر ابنَ أخيه فأقرّ - فـقال له : قد أقرّ ابنُ أخيك ، فقال له : هذا غلام حَدث تكلم بهـذا خوفًا من القتل ، ولا يُقـبل قوله . ثم أطلق ابن أخيه والصّيدنانىّ بعد مدة طويلة .

وفيها انصرف المعتضد إلى بغداد من خرجته إلى الأعراب .

وفيها ، فى جمادى الآخرة ورد الخبر بدخول عمرو بن الليث نَيْسابور : فى جمادى الأولى منها .

وفيها وجّه يوسف بن أبى الساج اثنين وثلاثين نفسا من الخوارج ، من طريق الموصل ، فضُربت أعناق خمسة وعشرين رجلا منهم ، وصُلبوا ، وحبِس سبعة منهم فى الحبس الجديد .

وفيها دخل أحمد بن أبًّا طَرَسُوس لغزاة الصائفة ، لخمس خلْون من رجب من قِبَل خمارويه ، ودخل بعده بدر الحمّامىُّ ، فَغَزوا جميعًا مع العُجَيفىّ أمير طَرَسُوس حتى بلغوا البلقسور .

وفيها ورد الخبر بغزو إسماعيل بن أحمد بلاد الترك وافتتاحه - فيما ذكر - مدينة ملكهم ، وأسره إياه وامرأته خاتون ونحواً من عشرة آلاف ، وقتل منهم خلقًا كثيراً ، وغنم من الدواب دوابّ كثيرة لا يوقف على عددها ، وأنه أصاب الفارس من المسلمين من الغنيمة فى المقسم ألف درهم .

ولليلتين بقيتا من شهر رمضان منها ، تُوُفِّىَ راشد مولى الموفّق بالدينور ، وحُمِل فى تابوت إلى بغداد .

ولثلاث عشرة خلت من شوال منها مات مسرور البلخى .

وفيها - فيما ذكر - فى ذى الحجة ورد كتاب من دُبيل بانكساف

القمر فى شوال لأربع عشرة خلت منها ، ثم تجلَّى فى آخر الليل . فأصبحوا صبيحة تلك الليلة والدنيا مظلمة ، ودامت الظلمة عليهم ؛ فلما كان عند العصر هبّت ريح سوداء شديدة ، فدامت إلى ثلث الليل ؛ فلما كان ثلث الليل زُلزلوا ، فأصبحوا وقد ذهبت المدينة فلم ينج من منازلها إلا اليسير ، قدر مائة دار ، وأنهم دفنوا إلى حين كُتب الكتاب ثلاثين ألف نفس يخرجون من تحت الهدم ، ويدفنون ، وأنهم زُلزلوا بعد الهدم خمس مرات.

وذكر عن بعضهم أن جملة من أخرج من تحت الهدم خمسون ومائة ألف ميّت .

*

سنة ٢٨٢ :

فى شهر ربيع الأول منها قُبِض على بكتمر بن طاشتمر ، وقُيِّد وحُبس ، وقبِض ماله وضياعه ودوره .

وفيها نُقلت ابنة خمارويه بن أحمد إلى المعتضد لأربع خَلَوْن من شهر ربيع الآخر ، ونُودى فى جانبى بغداد ألاّ يعبر أحد فى دِجْلة يوم الأحد ، وغُلِّقت أبواب الدُّروب التى تلى الشّطّ ومُدّ على الشوارع النافذة إلى دِجْلة شراع ، ووُكِّل بحافّتى دجْلة مَنْ يمنع أن يظهروا فى دورهم على الشطّ . فلما صلّيت العتمة وافت الشَّذَا من دار المعتضد ، وفيها خدم معهم الشمع ، فوقفوا بإزاء دار صاعد ، وكانت أعِدّت أربع حرّاقات

شُدّت مع دار صاعد ، فلما جاءت الشذا أحْدِرت الحَرّاقات ، وصارت الشَّذا بين أيديهم ؛ وأقامت الحُرّة يوم الاثنين فى دار المعتضد ، وجُلِيَتْ عليه يوم الثلاثاء لخمس خلون من شهر ربيع الأول .

وفيها شخص المعتضد إلى الجبل ، فبلغ الكرَج ، وأخذ أموالا لابن أبى دُلف ، وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف يطلب منه جوهرًا كان عنده ، فوجّه به إليه ، وتنحىّ من بين يديه .

وفيها أطلِق لؤلؤ غلام ابن طولون بعد خروج المعتضد ، وحُمِل على دوابّ وبغال .

وفيها وجَّهَ يوسف بن أبى الساج إلى الصَّيْمرة مددًا لفتح القلانسىّ ، فهرب يوسف بن أبى الساج بمِنْ أطاعه إلى أخيه محمد بالمراغة ، ولقى مالاً للسلطان فى طريقه فأخذه ، فقال فى ذلك عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :

إمامَ الهدى أنصارُكم آلُ طاهرٍ
بلا سبب يُجفَوْنَ والدهْرُ يَذهبُ

وقد خَلطوا صَبرًا بشُكر ورابطوا
وغيرُهُمُ يُعطَى ويُحبَى ويَهرُبُ

وفيها وُجِّه المعتضد الوزير عبيد الله بن سليمان إلى الرىّ إلى أبى محمد ابنه .

*

وفيهـا وجّه محمد بن زيد العَلوىّ من طَبَرِستان إلى مـحمد بن ورد العطار باثنين وثلاثين ألف دينار ، ليـفرّقهـا على أهله ببغـداد والكوفة ؛ ومكة والمدينة ، فسُعِى به ، فـأحضر دار بدر ، وسُئل عن ذلك ، فـذكر أن يوجّه إليه فى كلّ سنة بمثل هذا المال ، فيفـرّقه على مَنْ يأمره بالتفرّقة عليه مـن أهله . فأعلم بدر المعـتضد ذلك ، وأعلمـه أن الرجل فى يديه والمال ، واستطلع رأيه وما يأمر به .

فذكر عن أبى عـبد الله الحسنىّ أنّ المعتضد قـال لبدر : يا بدر ، أما تذكر الرؤيا التى خبـرّتك بها ؟ فقال : لا يا أميـر المؤمنين ، فقال : ألا تذكـر أنّى حدّثتك أنّ الناصـر دعانى ، فـقال لى : اعلم أنّ هذا الأمـر سيصير إليك ، فانظر كيف تكون مع آل علىّ بن أبى طالب ! ثم قال : رأيتُ فى النوم كأنى خـارج من بغداد أريد ناحية النهـروان فى جيشى ، وقـد تشـوّف الناس إلىّ ، إذ مـررتُ برجل واقف عـلى تلّ يصلى ، لا يلتفت إلىّ ، فعـجبت منه ومن قلة اكتراثه بعـسكرى ، مع تشوّف الناس إلى العسكر ، فأقـبلتُ إليه حتى وقفت بين يديه ، فـلما فرغ من صَلاته قال لى : أقبل ، فـأقبلتُ إليه ، فقال : أتـعرفنى ؟ قلت : لا ، قال : أنا علىّ بن أبى طالب ؛ خذ هذه المِسْحاة ، فاضرب بها الأرض - لمِسحاة بين يديه - فأخـذتها فـضربت بها ضـربات ، فقال لى : إنـه سيلى من ولدك هذا الأمر بقدر ما ضربت بها ، فأوصِهم بولدى خيراً . قال بدر : فقلت : بلَى يا أمير المؤمنين ؛ قـد ذكرت . قال : فأطلِق المال ، وأطلق

الرجل وتقدّم إليه أن يكتب إلى صاحبه بطَبَرِستان أن يوجه ما يوجه به إليه ظاهراً ، وأن يفرّق محمد بن ورد ما يفرّقه ظاهراً ، وتقدّم بمعونة محمد على ما يريد من ذلك .

*

سنة ٢٨٣ - أهم الأحداث :

[خبر حصر الصقالبة القسطنطينية]

وفيها - فيما ذكر - ورد كتابٌ من طَرَسُوس أن الصَّقالبة غزت الروم فى خلق كثير ، فقتلوا منهم وخرّبوا لهم قرًى كثيرة حتى وصلوا إلى قسطنطينية وألجئوا الرّوم إليها ، وأغلقت أبواب مدينتهم ، ثم وجّه طاغية الروم إلى ملك الصّقالبة أن ديننا ودينكم واحد ؛ فعلام نقتل الرجال بيننا ! فأجابه ملك الصقالبة أن هذا ملك آبائى ، ولست منصرفًا عنك إلاّ بغلبة أحدنا صاحبه ؛ فلما لمْ يجد ملك الرّوم خلاصًا من صاحب الصَّقَالبة ، جَمَعَ مَنْ عنده من المسلمين ، فأعطاهم السلاح ، وسألهم معونتَه على الصّقالبة ، ففعلوا ، وكشفوا الصقالبة ، فلما رأى ذلك ملك الروم خافَهم على نفسه ، فبعث إليهم فردّهم ، وأخذ منهم السلاح ، وفرّقهم فى البلدان ، حذراً من أن يجنوا عليه .

*

[خلاف جند جيش بن خمارويه عليه]

وللنصف من رجب من هذه السنة ورد الخبر من مصر أن الجند من المغاربة والبربر وثبوا على جيش بن خمارويه ، وقالوا : لا نرضى بك أميرًا علينا فتنحّ عنا حتى نولّىَ عمَّك ، فكلمهم كاتبه علىّ بن أحمد الماذَرائىّ ، وسألهم أن ينصرفوا عنه يومهم ذلك ، فانصرفوا وعادوا من غد ، فعدا جيش على عمه الذى ذكروا أنهم يؤمّرونه ، فضرب عنقه وعنق عمٍّ له آخر ، ورمى بأرؤسهما إليهم ، فهجم الجند على جيش بن خمارويه ، فقتلوه وقتلوا أمّه وانتهبوا دارَه ، وانتهبوا مصر وأحرقوها ، وأقعدوا هارون بن خمارويه مكان أخيه .

وفى رجب منها أمر المعتضد بكرْى دُجَيل والاستقصاء عليه ، وقلع صخر فى فُوّهته كان يمنع الماء ، فجُبِىَ لذلك من أرباب الضّياع والإقطاعات أربعة آلاف دينار ، وكسرٌ - فيما ذكر - وأنفِق عليه ، ووَلِىَ ذلك كاتب زيرك وخادم من خدم المعتضد .

*

[ذكر أمر المعتضد مع عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف وأخيه بكر]

وفى يوم الجمعة لعشر خَلَوْن من شهر رمضان من هذه السنة قُرِئَ كتاب على المنبر بمدينة السلام فى مسجد جامعها ؛ بأن عمر بن عبد العزيز بن أبى دُلف صار إلى بدر وعبيد الله بن سليمان فى الأمان يوم

السبت لثلاث بقين من شعبان سامعًا مطيعًا منقادًا لأمير المؤمنين ، مذعنًا بالطاعة والمصير معهما إلى بابه ، وأنّ عبيد الله بن سليمان خرج إليه فتلقاه ، وصار به إلى مضرب بدر ، فأخذ عليه وعلى أهل بيته وأصحابه البَيْعة لأمير المؤمنين ، وخلع عليه بدر وعلى الرؤساء من أهل بيته ، وانصرفوا إلى مضربٍ قد أُعِدّ لهم ، وكان قبل ذلك قد دخل بكر بن عبد العزيز فى الأمان على بدْر وعبيد الله بن سليمان ، فولّيَاه عمل أخيه عمر، على أن يخرج إليه ويحاربه ، فلما دخل عمر فى الأمان قالا لبكر: إنّ أخاك قد دخل فى طاعة السلطان ؛ وإنما كنا ولّيناك عمله على أنه عاصٍ ، والآن فأمير المؤمنين أعَلَى عَيْنًا فيما يرى من أمركما ، فامضيا إلى بابه .

سنة ٢٨٤ :

فى يوم الخميس لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة – فيما ذكر – ظهرت ظلمة بمصر ، وحُمرة فى السماء شديدة ؛ حتى كان الرجل ينظر إلى وجه الآخر ، فيراه أحمر ، وكذلك الحيطان وغير ذلك، ومكثوا كذلك من العصر إلى العشاء الآخرة ، وخرج الناس من منازلهم يدعون الله ويتضرعون إليه .

وفى يوم الأربعاء لثلاث خلوْن من جمادى الأولى ، ولإحدى عشرة ليلة خلت من حَزِيران ، نُودى فى الأرباع والأسواق ببغداد بالنّهى عن

وقود النيران ليلة النيروز ، وعن صبّ الماء فى يومه ، ونُودى بمثل ذلك فى يوم الخميس ، فلمَّا كان عشيّة يوم الجمعة نودى على باب سعيد بن يكسين صاحب الشرطة بالجانب الشرقىّ من مدينة السلام ، بأنّ أمير المؤمنين قد أطلق للناس فى وقود النيران وصبّ الماء ، ففعلت العامة من ذلك ما جاوز الحدّ ، حتى صبّوا الماء على أصحاب الشرطة فى مجلس الجسر - فيما ذكر .

وفيها أغريَت العامة بالصيّاح بمن رأوْا من الخدم السود : يا عقيق ، فكانوا يغضبون من ذلك ، فوجَّه المعتضد خادمًا أسود عشيَّة الجمعة برقعة إلى ابنْ حمدون النديم ؛ فلما بلغ الخادم رأسَ الجسر من الجانب الشرقىّ صاح به صائح من العامة : يا عقيق ! فشتم الخادم الصائح ، وقنَّعه ، فاجتمعت جماعة من العامة على الخادم فنكسوه وضربوه ، وضاعت الرقعة التى كانت معه . فرجع إلى السلطان فأخبره بما صنع به ، فأمر المعتضد طريفًا المخلدىّ الخادم بالركوب والقبض على كلٍّ مَنْ تولَّع بالخدم وضربه بالسياط . فركب طريف يوم السبت لثلاث عشرة خلت من جمادى الأولى فى جماعة من الفرسان والرجَّالة ، وقدَّم بين يديه خادمًا أسود ؛ فصار إلى باب الطاقِ لِمَا أمِر به من القبض على من صاح بالخادم : يا عقيق ، فقبض فيما ذكر بباب الطابق على سبعة أنفس ؛ ذكِر أن بعضهم كان بزِّيًا ؛ فضُربِوا بالسياط فى مجلس الشرطة بالجانب الشرقىّ. وعبّر طريف فمضى إلى الكرْخ ، ففعل مثل ذلك ، وأخذ

خمسة أنفس فضربهم فى مجلس الشرطة بالشرقيَّة ، وحُمِل الجميع على جمال ، ونودى عليهم : هذا جزاء مَنْ أولِع بخدم السلطان ، وصاح بهم : يا عقيق ، وحبسوا يومهم ، وأطلقوا بالليل .

وفى هذه السنة عَزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر ، وأمر بإنشاء كتاب بذلك يُقرأ على الناس ، فخوّفه عبيد الله ابن سليمان بن وهب اضطراب العامة ، وأنه لا يأمن أن تكون فتنة ، فلم يلتفت إلى ذلك من قوله .

وذُكر أن أول شىء بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامة بلزوم أعمالهم ، وترك الاجتماع والقضية والشهادات عند السلطان ، إلا أن يُسْألوا عن شهادة إن كانت عندهم ، وبمنع القُصّاص من القعود على الطرقات ، وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السلام فى الأرباع والمحالّ والأسواق ، فقرِئت يوم الأربعاء لستّ بقين من جمادى الأولى من هذه السنة ، ثم مُنِع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصّاص من القعود فى الجامعيْن ، ومُنع أهل الحلق فى الفتيا أو غيرهم من القعود فى المسجدين ، ومُنِع الباعة من القعود فى رحابهما .

وفى جمادى الآخرة نودى فى المسجد الجامع بنهى الناس عن الاجتماع على قاصّ أو غيره ، ومنِع القصاص وأهل الحلَق من القعود .

وفى يوم الحادى عشر - وذلك يوم الجمعة - نُودى فى الجامعيْن بأنّ الذمة بريَّة ممنَ اجتمع من الناس على مناظرة أو جدل ، وأن من فعل

ذلك أحلّ بنفسه الضرب ، وتقدم إلى الشرّاب والذين يسقون الماء فى الجامعين ألا يترحَّموا على معاوية ، ولا يذكروه بخير .

*

وفى ليلة الأربعاء لاثنتى عشرة خلت من شعبان - أو ليلة الخميس فيما ذكر - ظهر شخص إنسان فى يده سيف فى دار المعتضد بالثريَّا ، فمضى إليه بعض الخدم لينظر ما هو ، فضربه الشخص بالسيَّف ضربة قطع بها منطقته ، ووصل السيف إلى بدن الخادم ، ورجع الخادم منصرفًا عنه هاربًا ، ودخل الشخص فى زرع فى البستان ، فتوارى فيه ، فطُلب باقى ليلته ومن غد ، فلم يوقف له على أثر ، فاستوحش المعتضد لذلك ، وكثَّر الناس فى أمره رجمًا بالظنون ، حتى قالوا : إنه من الجنّ ، ثم عاد هذا الشخص للظهور بعد ذلك مرارًا كثيرة ، حتى وكّل المعتضد بسور داره ، وأحكم السور ورأسه ، وجعل عليه كالبرابخ ؛ لئلا يقع عليه الكُلاَّب إن رُمِىَ به ، وجىء باللصوص من الحبس ونوظروا فى ذلك ، وهل يمكن أحد الدخول إليه بنقب أو تسلُّق .

وفى يوم السبت لثمان بقين من شعبان من هذه السنة ، وجَّه كرامة بن مُرّ من الكوفة بقوم مقيَّدين ، ذكر أنهم من القرامطة ، فأقرّوا على أبى هاشم بن صدقة الكاتب أنه كان يكاتبهم ، وأنه أحد رؤسائهم ، فقبض على أبى هاشم ، وقيِّد وحبس فى المطامير .

وفى يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان من هذه السنة جُمع المجانين والمعزّمون ، ومُضِىَ بهم إلى دار المعتضد فى الثريّا بسبب الشّخص الذى كان يظهر له ، فأدخِلوا الدار ، وصعِد المعتضد عِلّيّةً له ، فأشرف عليهم ؛ فلما رآهم صرِعت امرأة كانت معهم من المجانين واضطربت ، وتكشفّت ، فضجر وانصرف عنهم ، ووهب لكلّ واحد منهم خمسةَ دراهم - فيما ذكر - وصُرفوا . وقد كان وجّه إلى المعزّمين قبل أن يشرف عليهم مَن يسألهم عن خبر الشخص الذى ظهر له : هل يمكنهم أن يعلموا علمه ؟ فذكر قومٌ منهم أنهم يعزّمون على بعض المجانين ، فإذا سقط سأل الجنّىّ عن خبر ذلك الشخص وما هو ، فلما رأى المرأة التى صُرعت أمر بصرفهم .

وفى ذى القعدة منها ورد الخبر من أصبهان ، بوثوب الحارث بن عبد العزيز بن أبى دُلف المعروف بأبى ليلى بشفيع الخادم الموكّل كان به فقتله، وكان أخوه عمر بن عبد العزيز بن أبى دلف أخذه فقيَّده ، وحمله إلى قلعة لآل أبى دلف بالزّزّ ، فحبسه فيها ، وكان كلّ ما لآل أبى دُلف من مال ومتاع نفيس وجوهر فى القَلْعة ، وشفيع مولاهم موكّل بحفظ ذلك وحفظ القلعة ، ومعه جماعة من غلمان عمر وخاصّته ، فلما استأمن عمر إلى السلطان ، وهرب بكر عاصيًا للسلطان بقيت القلعة بما فيهم فى يد شفيع ، فكلّمه أبو ليلى فى إطلاقه فأبى ، وقال : لا أفعل فيك وفيما فى يدى إلا بما يأمرنى به عمر .

فذكر عن جارية لأبى ليلى أنها قالت : كان مع أبى ليلى فى الحبس غلامٌ صغير يخدمُه . وآخـر يخرج ويدخل فى حوائجه ولا يبيت عنده ، ويبيـت عنده الغلام الصـغير ، فـقال أبو ليلـى لغلامه الذى يـخرج فى حوائجـه : احتلْ لى فى مِبـرْد تدخله إلىّ ، ففـعل وأدخله فى شىء من طعامه . وكان شفـيع الخادم يجىء فى كل ليلة إذا أراد أن ينام إلى البيت الذى فيه أبو ليلى حتى يراه ، ثم يقـفل عليه باب البيت هو بيده ويمضى فينام ، وتحت فـراشه سيف مـسلول . وكان أبو ليلى قـد سأل أن تُدْخَل إليه جارية ، فأدخِلت إليه جارية حدَثة السنّ ، فذكر عن ذلفاء جارية أبى ليلى عن هذه الجارية أنها قالت : بَرّدَ أبو ليلى المسـمار الذى فى القيد ، حتى كان يخـرجه من رجله إذا شاء . قالت : وجاء شفـيع الخادم عشيّةً من العشايا إلى أبى ليلى ، فقعد مـعه يحدّثه ، فسأله أبو ليلى أن يشرب معه أقداحًا ، ففعل ، ثم قام الخادم لحاجته . قالت : فأمرنى أبو ليلى ، ففرشتُ فراشه ، فجعل عليه ثيابا فى موضع الإنسان من الفراش ، وغطَّى على الثياب باللِّحاف ، وأمرنـى أن أقعد عند رِجْل الفراش ، وقال لى : إذا جاء شفيع لينظر إلىّ ويقفل الباب ، فسألك عنّى فقولى : هو نائم . وخرج أبو ليلى من البيت ، فاختفى فى جـوف فرش ومتاع فى صُفَّة فيها باب هذا البيت ، وجاء شفيع فنظر إلى الفـراش ، وسأل الجارية فأخبرْته أنه قد نام ، فـأقفل البـاب ؛ فلمّا نام الخادم ومَنْ معـه فى الدار التى فى القلعة خرج أبو ليلى ، فـأخذ السيف من تحت فراش شفـيع ، وشدّ عليه فقتلـه ، فوثب الغلمان الذين كانوا ينامـون حوله فزعين ، فاعـتزلهم أبو

ليلى والسيف فى يده ، وقال لهم : أنا أبو ليلى قد قتلتُ شفيعًا ، ولئن تقدمّ إلىّ منكم أحد لأقتلنّه وأنتم آمنون ؛ فاخرجوا من الدار حتى أكلّمكم بما أريد ، ففتحوا باب القلعة ، وخرجوا ، وجاء حتى قعد على باب القلعة ، واجتمع الناس ممّن كان فى القلعة ، فكلّمهم ووعدهم الإحسان ، وأخذ عليهم الأيْمان . فلمّا أصبح نزل من القَلْعة ، ووجّه إلى الأكراد وأهل الزّموم ، فجمعهم وأعطاهم ، وخرج مخالفًا على السلطان . وقيل إن قتله الخادم كان فى ليلة السبت لاثنتى عشرة بقيت من ذى القعدة من هذه السنة ، وقيل : إنه ذبح الخادم ذبحًا بسكين كان أدخلها إليه غلامه ، ثم أخذ السيف من تحت فراش الخادم وقام به إلى الغلمان .

وفى هذه السنة – وهى سنة أربع وثمانين ومائتين – كان المنجّمون يوعدون الناس بغرق أكثر الأقاليم ، وأنّ إقليم بابل لا يسلم منه إلا اليسير ، وأنّ ذلك يكون بكثرة الأمطار وزيادة المياه فى الأنهار والعيون والآبار ، فقحط الناس فيها فلم يروْا فيها من المطر إلا اليسير ، وغارت المياه فى الأنهار ، والعيون والآبار ، حتى احتاج الناس إلى الاستسقاء فاستسقوا ببغداد مرات .

ولليلة بقيت من ذى الحجة من هذه السنة كانت – فيما ذكر – وقعة بين عيسى النُّوشرىّ وبين أبى ليلى بن عبد العزيز بن أبى دلف ، وذلك يوم الخميس دون أصبهان بفرسخين ، فأصاب أبا ليلى سهم فى حلقه

- فيما ذكر - فنحره ، فسقط على دابّته ، وانهزم أصحابه ، وأخِذ رأسه فحُمِل إلى أصبهان .

سنة ٢٨٦ :

فى هذه السنة ظهر رجل من القرامطة يعرف بأبى سعيد الجنّابىّ بالبحرين ، فاجتمع إليه جماعة من الأعراب والقرامطة ؛ وكان خروجه - فيما ذُكر - فى أول هذه السنة ، وكثر أصحابه فى جمادى الآخرة ، وقوىَ أمرُه ، فقتل من حوله من أهل القرى ، ثم صار إلى موضع يقال له القَطيف ، بينه وبين البصرة مراحل ، فقَتَل مَنْ بها . وذكر أنه يريد البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقىّ - وكان يتقلّد معاون البصرة وكور دجلة فى ذلك الوقت - إلى السلطان بما اتّصل به من عَزْم هؤلاء القرامطة ؛ فكتب إليه وإلى محمد بن هشام المتولّى أعمالَ الصّدقات والخراج والضّياع بها ، فى عمل سور على البصرة ، فقُدّرت النفقة على ذلك أربعة عشر ألف دينار ، فأمر بالإنفاق عليه فبُنِى .

وفى رجب من هذه السّنة صار إلى الأنبار جماعة من أعراب بنى شَيْبان ، فأغاروا على القرى ، وقتلوا من لحقوا من الناس ، واستاقوا المواشىَ . فخرج إليهم أحمد بن محمد بن كُمُشْجور المتولّى المعاون بها ، فلم يُطقهم . فكتب إلى السلطان يخبره بأمورهم . فوجّه من مدينة السلام نفيسًا المولدىّ وأحمد بن محمد الزَّرَنْجِىّ والمظفّر بن حاجّ مددًا له فى زُهاء

ألف رجل ؛ فصاروا إلى موضع الأعراب ، فواقعوهم بموضع يعرف بالمنقبة من الأنبار ، فهزمهم الأعراب ، وقتلوا أصحابَهم وغَرِق أكثرهم فى الفرات ، وتفرّقوا . فورد كتاب ابن حاجّ يوم الاثنين لستّ بقين من رجب بخبر هذه الوقعة وهزيمة الأعراب إياهم ، فأقام الأعراب يعيثُون فى الناحية ، ويتخفّرون القرى ، فكُتب إلى المعتضد بخبرهم ، فوجّه إليهم لقتالهم من الرّقة العباس بن عمرو الغَنَوىّ وخفيفًا الأذكوتكينىّ وجماعة من القوّاد . فصار هؤلاء القوّاد إلى هِيت فى آخر شعبان من هذه السنة . وبلغ الأعرابَ خبرُهم ، فارتحلوا عن موضعهم من سواد الأنبار ، وتوجّهوا نحو عين التّمر ، فنزلوها ، ودخل القواد الأنبار ، فأقاموا بها ، وعاث الأعراب بعين التّمر ونواحى الكوفة ؛ مثل عيثهم بنواحى الأنبار ، وذلك بقية شعبان وشهر رمضان .

ولعشر بَقِين من شهر رمضان منها وجّه المعتضد مؤنسًا الخازن إلى الأعراب بنواحى الكوفة وعين التّمر ، وضمّ إليه العباس بن عمرو وخفيفًا الأذكوتكينىّ وغيرهما من القوّاد ، فسار مؤنس ومَنْ معه حتى بلغ الموضع المعروف بِنينوَى ، فوجد الأعراب قد ارتحلوا عن موضعهم ، ودخل بعضهم إلى برّيّة طريق مكة وبعضهم إلى برّية الشأم ، فأقام بموضعه أيامًا ، ثم شخص إلى مدينة السلام .

وفى شوال منها قلّد المعتضد وعبيد الله بن سليمان ديوان المشرق محمدَ بن داود ابن الجراح ، وعزَل عنه أحمد بن محمد بن الفرات ،

وقُلِّد ديوان المغرب علىّ بن عيسى بن داود بن الجراح ، وعُزِل عنه ابن الفرات .

سنة ٢٨٧ :

وفى شهر ربيع الأول منها غَلُظ أمر القرامطة بالبحرين ، فأغاروا على نواحى هَجَر ، وقرب بعضهم من نواحى البصرة ، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقىّ يسأل المددَ ، فوجّه إليه فى آخر هذا الشهر بثمانى شَذَوات ، فيها ثلثمائة رجل ، وأمر المعتضد باختيار جيش لينفذه إلى البصرة .

وفى يوم الأحد لعشرٍ خلوْن من شهر ربيع الآخر ، قعد بدر مولى المعتضد فى داره ، ونظر فى أمور الخاصّة والعامة من الناس والخراج والضياع والمعاون .

وفى يوم الاثنين لإحدى عشرة خلْت من شهر ربيع الآخر ، مات محمد بن عبد الحميد الكاتب المتولى ديوانَ زمام المشرق والمغرب .

وفى يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت منه ولّى جعفر بن محمد بن حفص هذا الديوان ، فصار من يومه إلى الديوان وقعد فيه .

وفى شهر ربيع الآخر منها ولّى المعتضدُ عبّاسَ بن عمرو الغَنَوىّ اليمامة والبحرين ومحاربة أبى سعيد الجنّابىّ ومَنْ معه من القرامطةَ ،

وضمّ إليه زُهاء ألفىْ رجل ، فعسكر العبّاس بالفِرْكِ أيامًا حتى اجتمع إليه أصحابُه ، ثم مضى إلى البصرة ، ثم شخص منها إلى البحرين واليمامة.

وفيها - فيما ذكر - وافى العدوّ باب قلمية من طَرَسُوس ، فنفر أبو ثابت وهو أمير طَرَسُوس بعد موت ابن الإخشاد - وكان استخلفه على البلد حين غزا - فمات وهو على ذلك ؛ فبلغ فى نفيره إلى نهر الرَّيحَان فى طلب العدوّ ، فأُسِرَ أبو ثابت وأصيب الناس ؛ فكان ابن كلوب غازيًا فى درب السلامة ؛ فلمّا قفل من غَزَاتِه جَمَع المشايخ من أهل الثغر ليتراضوا بأميرٍ يلى أمورَهم ، فاتّفق رأيُهم على علىّ بن الأعرابىّ ، فولّوه أمرهم بعد اختلاف من ابن أبى ثابت .

وذكر أن أباه استخلفه ، وجمع جمعًا لمحاربة أهل البلد حتى توسّط الأمرَ ابن كلوب ، فرضَى ابنُ ثابت ؛ وذلك فى شهر ربيع الآخر ، وكان النُّغْيل حينئذ غازيًا ببلاد الروم ، فانصرف إلى طَرَسُوس ، وجاء الخبر أن أبا ثابت حُمِل إلى القسطنطينية من حصن قُونِيَة ، ومعه جماعة من المسلمين .

وفى شهر ربيع الآخر مات إسحاق بن أيوب الذى كان إليه المعاون بديار ربيعة ، فقلِّد ما كان إليه عبد الله بن الهيثم بن عبد الله بن المعتمر.

وفى يوم الأربعاء لخمس بقين من جُمادى الأولى ، ورد كتاب - فيما ذكر - على السلطان بأنّ إسماعيل بن أحمد أسرَ عمرًا الصفار ،

واستباح عسكره ؛ وكان من خبر عمرو وإسماعيل ، أن عمراً سأل السلطانَ أن يولّيَه ما وراء النهر ، فولاّه ذلك ، ووجّه إليه وهو مقيم بنيسابور بالخلع ، واللواء على ما وراء النهر ، فخرج لمحاربة إسماعيل بن أحمد ، فكتب إليه إسماعيل بن أحمد : إنك قد وليت دنيا عريضة ، وإنما فى يدى ما وراء النهر ، وأنا فى ثغر ؛ فاقنع بما فى يدك ، واتركنى مقيمًا بهذا الثغر . فأبَى إجابَته إلى ذلك ؛ فذُكر له أمر نهر بلخ وشدة عبوره ، فقال : لو أشاء أن أسكره ببِدَر الأموال وأعبره لفعلتُ ؛ فلما أيس إسماعيل من انصرافه عنه جمع مَنْ معه والتّنّاء والدّهاقين ، وعَبر النهر إلى الجانب الغربىّ ؛ وجاء عمرو فنزلَ بَلْخ ، وأخذ إسماعيل عليه النواحى ، فصار كالمحاصَر ، وندم على ما فعل ، وطلب المحاجزة - فيما ذكر - فأبى إسماعيل عليه ذلك ، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى هُزم عمرو فولّى هاربًا ، ومرّ بأجمة فى طريقه ، قيل له إنها أقرب ، فقال لعامّة مَنْ معه : امضُوا فى الطريق الواضح . ومضى فى نفر يسير ، فدخل الأجَمَة ، فوحِلت دابّتُه ؛ فوقعت ، ولم يكن له فى نفسه حيلة ، ومضى مَن معه ، ولم يلوُوا عليه ، وجاء أصحاب إسماعيل ، فأخذوه أسيرًا . ولما وصل الخبرُ إلى المعتضد بما كان من أمر عمرو وإسماعيل ، مدح إسماعيل - فيما ذُكر - وذمّ عمراً .

ولليلة بقيتْ من جُمادى الأولى من هذه السنة ، ورد الخبر على السلطان أن وصيفًا خادم ابن أبى الساج ، هرب من بَرْذَعة ، ومضى إلى

مَلَطْية مراغمًا لمحمد بن أبى الساج فى أصحابه ، وكتب إلى المعتضد يسأله أن يولّيَه الثغور ، ليقوم بها ، فكتب إليه المعتضد يأمره بالمصير إليه ، ووجّه إليه رشيقًا الحرمىّ .

ولسبع خلوْن من رَجب من هذه السنة تُوفّيَتْ ابنة خَمارويه بن أحمد ابن طولون ، زوجة المعتضد ، ودفِنت داخل قصر الرصافة .

ولعشر خلون من رجب وفد على السلطان ثلاثة أنفس وجّههم وصيف خادم ابن أبى الساج إلى المعتضد ، يسأله أن يولّيَه الثغور ، ويوجّه إليه الخلع ، فذكر أنّ المعتضد أمر بتقرير الرُّسل بالسبب الذى من أجله فارق وصيف صاحبَه ابن أبى الساج ، وقصد الثغور ، فقُرِّروا بالضرب ، فذكروا أنه فارقه على مواطأة بينه وبين صاحبه ، على أنه متى صار إلى الموضع الذى هو به متى لحق به صاحبه ، فصارا جميعًا إلى مُضَر وتغلّبا عليها ، وشاع ذلك فى الناس وتحدّثوا به .

ولإحدى عشرة خلتْ من رَجب من هذه السنة وُلّىَ حامد بن العباس الخراج والضّياع بفارس ؛ وكانت فى يد عمرو بن الليْث الصفار ، ودُفعت كتبه بالولاية إلى أخيه أحمد بن العباس ، وكان حامد مقيمًا بواسط ، لأنه كان يليها وكور دجلة ، وكتب إلى عيسى النُّوشرىّ وهو بإصبهان بالمصير إلى فارس واليًا على معونتها .

*

حــرب القرامطــة

وفى هذه السنة كان خروج العباس بن عـمرو الغَنَوىّ - فيما ذكر - من البصرة بمن ضُمّ إليه من الجند ، مع من خَفّ مـعه من مطوِّعة البصرة نحو أبى سـعيد الجـنّابىّ ومَن انضوى إليه من القَرامطة ، فـلقيَهم طلائع لأبى سعيـد ، فخلّف العباس سـوادَه ، وسار نحوهم ، فلقىَ أبا سـعيد ومَنْ معه مساء ، فتناوشوا القـتال ، ثم حجز بينهم الليل ، فانصرف كلّ فريق منهما إلى موضعــهم . فلمّا كان الليل انصرف مَن كان مع العباس أعراب بنى ضَبّة - وكانوا زهاء ثلثمائة - إلى البصرة ، ثم تبعهم مطوّعة البصــرة ؛ فلما أصبح العـباس غادى الـقرامطةَ الحرب ، فـاقتتلوا قـتالا شديدًا. ثم إنّ صاحب ميسرة العبـاس - وهو نجاح غلام أحمد بن عيسى ابن شيخ - حمل فى جماعة من أصـحابه زُهاء مائة رجل على ميمنة أبى سعيد ؛ فوغَلُوا فيهم ، فقـتِل وجميعُ من معه ، وحَمَل الجنّابىّ وأصحابه على أصحاب العباس ، فانهزموا ، فاستأسر العباس ، وأسِر من أصحابه زُهاء سبعمائة رجل ، واحتـوى الجنّابىّ على ما كان فى عسكر العباس ؛ فلما كـان من غد يوم الوقعـة أحضر الجـنابىّ منْ كان أسر من أصـحاب العباس ، فقتلهم جميعًا ، ثم أمر بحطب فطرِح عليهم ، وأحرقهم .

وكانت هذه الوقـعة - فـيما ذكـر - فى آخر رجب ، وورد خـبرها بغداد لأربع خلون من شعبان .

*

وفيها - فيما ذكر - صار الجنّابىّ إلى هَجَر ، فدخلها وآمن أهلها ؛ وذلك بعد منصرفه من وقعة العباس ، وانصرفَ فَلُّ أصحاب العباس بن عمرو يريدون البصرة ، ولم يكن أفلت منهم إلاّ القليل بغير أزواد ولاكسًا ، فخرج إليهم من البصرة جماعة بنحو من أربعمائة راحلة ، عليها الأطعمة والكسا والماء ، فخرج عليهم - فيما ذكر - بنو أسد ، فأخذوا تلك الرواحل بما عليها ، وقتلوا جماعة ممن كان مع تلك الرواحل ومن أفلت من أصحاب العبّاس ؛ وذلك فى شهر رمضان ؛ فاضطربت البصرة لذلك اضطرابًا شديدًا وهمُّوا بالانتقال عنها ، فمنعهم أحمد بن محمد الواثقىّ المتولّى لمعاونها من ذلك ، وتخوّفوا هجومَ القرامطة عليهم.

ولثمان خَلَوْن من شهر رمضان منها - فيما ذكر - وردت خريطة على السلطان من الأُبُلّة بموافاة العباس بن عمرو فى مركب من مراكب البحر ، وأن أبا سعيد الجنّابىّ أطلقه وخادمًا له .

ولإحدى عشرة خلتْ من شهر رمضان ، وافىَ العباس بن عمرو مدينة السلام ، وصار إلى دار المعتضد بالثّريا ، فذُكر أنه بقى عند الجنّابىّ أيامًا بعد الوقعة ، ثم دعا به ، فقال له : أتحبّ أن أطلقك ؟ ، قال : نعم ، قال : امض وعرِّف الذى وجّه بك إلىّ ما رأيت . وحمله على رواحل ، وضمّ إليه رجالا من أصحابه ، وحمّلهم ما يحتاجون إليه من الزاد والماء ، وأمر الرجال الذين وجّههم معه أن يؤدّوه إلى مأمنه ،

فساروا به حتى وصل إلى بعض السواحل ، فصادف به مركبًا ، فحمله ، فصار إلى الأبلّة ، فخلع عليه المعتضد وصرفه إلى منزله .

وفى يومَ الخميس لإحدى عشرة خلتْ من شوّال ارتحل المعتضِد من مَضْرَبه بباب الشمّاسية فى طلب وصيف خادم ابن أبى الساج ، وكتم ذلك ، وأظهر أنه يريد ناحية ديار مُضَر .

وفى يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلتْ منه ، ورد الخبر - فيما ذُكر - على السلطان أن القرامطة بالسواد من أهل جُنْبُلاء وثبوا بواليهم بدر غلام الطائىّ ، فقتلوا من المسلمين جمعًا فيهم النساء والصبيان ، وأحرقوا المنازل .

ولأربع عشرة خلت من ذى القعدة نزل المعتضد كنيسة السوداء فى طلب وصيف الخادم ، فأقام بها يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء ، حتى تلاحق به الناس ، وأراد الرحيل فى طريق المصيِّصة ، فأتته العيون أنّ الخادم يريد عين زربة ، فأحضر الركّاضة الثغريّين وأهل الخبرة ، فسألهم عن أقصد الطريق إلى عين زربة ، فقطعوا به جيحان غداة الخميس لسبع عشرة خلت من ذى القعدة ، فقدّم ابنه عليًّا ومعه الحسن بن علىّ كوره ، وأتبعه بجعفر بن سعْر ، ثم أتبع جعفرًا محمد بن كُمُشْجور ، ثم أتبعه خاقان المفلحىّ ، ثم مؤنس الخادم ، ثم مؤنس الخازن ، ثم مضى فى آثارهم مع غلمان الحجر ، ومرّ بعين زَرْبة ؛ وضرب له بها مضرب ، وخلّف بها خفيفًا السَّمْرقندىّ مع سواده ، وسار هو قاصدًا للخادم فى أثر

القوّاد ، فلما كان بعد صلاة العصر جاءته البشارات بأخذ الخادم ، ووافوا به المعتضد ، فسلمه إلى مؤنس الخادم وهو يومئذ صاحب شرطة العسكر ، وأمر ببذل الأمان لأصحاب الخادم والنّداء فى العسكر ببراءة الذمّة ممن وُجد فى رحلة شىء من نهب عسكر الخادم ، ولم يردّه على أصحابه ؛ فردّ الناس على كثير منهم ما انتهبوا من عسكرهم . وكانت الوقعة وأسرُ وصيف الخادم - فيما قيل - يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من ذى القعدة ، وكان من اليوم الذى ارتحل المعتضد فيه من مضربه بباب الشماسيّة إلى أن قبض على الخادم ستة وثلاثون يومًا .

وفى يوم السبت لاثنتى عشرة خلتْ من ذى القعدة أوقع بدر غلام الطائىّ بالقرامطة على غِرّة منهم بنواحى روزميستان وغيرها ، فقتَل منهم - فيما ذكر - مقتلة عظيمة . ثم تركهم خوفًا على السّواد أن يخرب ؛ إذ كانوا فلاّحيه وعماله ، وطلب رؤساءهم فى أماكنهم ، فقتل مَنْ ظفر به منهم ؛ وكان السلطان قد قوّى بدرًا بجماعة من جنده وغلمانه بسببهم للحدث الذى كان منهم .

سنة ٢٨٨ : أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من ورود الخبر على السلطان - فيما ذكر - بوقوع الوباء بأذْرَبيجان ، فمات منه خلْق كثير إلى أن فقد الناس ما يكفّنون به

الموتى ، فكفّنوا فى الأكسية واللبود ، ثم صاروا إلى أن لم يجدوا مَن يدفن الموتى ، فكانوا يتركونهم مطروحين فى الطرق .

وفيها غزا نزار بن محمد عامل الحسن بن علىّ كورة الصائفة ، ففتح حصونًا كثيرة للرّوم ، وأدخل طَرَسُوس مائة عِلْج وَنَيِّفًا وستين عِلْجًا من القوامسة والشمامسة وصلبانًا كثيرًا وأعلامًا لهم ، فوجهّها كوره إلى بغداد .

ولاثنتى عشرة خلتْ من ذى الحجَّة وردت كتب من الرَّقة أن الرُّوم وافتْ فى مراكب كثيرة ، وجاء قومٌ منهم على الظهر إلى ناحية كَيْسُون ، فاستاقوا من المسلمين أكثر من خمسة عشر ألف إنسان ؛ ما بين رجل وامرأة وصبىّ ، فمضوا بهم ، وأخذوا فيهم قومًا من أهل الذمة .

وفيها قرب أصحاب أبى سعيد الجنابىّ من البصرة ، واشتدّ جَزَع أهل البصرة منهم حتى همّوا بالهرب منها والنقلة عنها ، فمنعهم من ذلك واليهم .

وفى آخر ذى الحِجّة منها قُتِل وصيف خادم ابن أبى الساج ، فحملت جثته فصلبت بالجانب الشرقىّ . وقيل إنه مات ولم يقتَل ، فلما مات احتُزّ رأسه .

سنة ٢٨٩ - أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من انتشار القرامطة بَسَواد الكوفة ، فوُجّه إليهم شبل غلام أحمد بن محمد الطائىّ ، وتُقدِّم إليه فى طلبهم ، وأخذِ مَن ظفر به منهم وحملِهم إلى باب السلطان . وظَفِر برئيس لهم يُعرف بابن أبى فوارس ، فوجّه به معهم ، فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرّم ، فساءله ، ثم أمر به فقلعتْ أضراسه ، ثم خُلِع بمدّ إحدى يديه - فيما ذكره - ببكْرة ، وعُلّق فى الأخرى صخرة ، وتُرِك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب ، ثم قُطعِت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم ، وضُرِبتْ عنقه ، وصلِب بالجانب الشرقىّ ، ثم حملِت جثّته بعد أيام إلى الياسرية ، فصُلب مع من صُلب هنالك من القرامطة .

ولليلتين خَلَتا من شهر ربيع الأول ، أخرج مَنْ كانت له دار وحانوت بباب الشماسيّة عن داره وحانوته ، وقيل لهم : خذوا أقفاصكم واخرجوا ؛ وذلك أنّ المعتضد كان قد قدّر أن يبنىَ لنفسه داراً يسكنها ، فخطّ موضع السور ، وحفر بعضه ، وابتدأ فى بناء دِكّة على دِجْلة ، كان المعتضد أمر ببنائها لينتقل فيقيم فيها إلى أن يفرُغ من بناء الدار والقصر .

وفى ربيع الآخر منها فى ليلة الأمير تُوفِّىَ المعتضد ، فلما كان فى صبيحتها أحضِر دار السلطان يوسف بن يعقوب وأبو خازم عبد الحميد بن عبد العزيز وأبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب ، وحضر الصلاة عليه الوزير القاسم بن عبيد الله بن سليمان ، وأبو خازم وأبو عمرَ والحرَم

والخاصة ، وكان أوصى أن يُدفن فى دار محمد بن عبد الله بن طاهر ، فحفِر له فيها ، فحمِل من قصره المعروف بالحسنىّ ليلا ، فدفن فى قبره هناك .

ولسبع بقين من شهر ربيع الآخر من هذه السنة - وهى سنة تسع وثمانين ومائتين - جلس القاسم بن عبيد الله بن سليمان فى دار السلطان فى الحسنىّ ، وأذن للناس ، فعزّوْه بالمعتضد ، وهنئوه بما جدّد له من أمر المكتفى ، وتقدّم إلى الكتاب والقوّاد فى تجديد البيعة للمكتفى بالله ، فقبلوا .

خلافة المكتفى بالله :

ولما تُوفِّىَ المعتضد كتب القاسم بن عبيد الله بالخبر إلى المكتفى كتبًا ، وأنفذها من ساعته ؛ وكان المكتفى مقيمًا بالرّقة ، فلمّا وصل الخبر إليه أمر الحسين بن عمرو النصرانىّ كاتبه يومئذ بأخذ البيعة على من فى عسكره ، ووضع العطاء لهم ، ففعل ذلك الحسين ، ثم خرج شاخصًا من الرّقة إلى بغداد ، ووجّه إلى النواحى بديار ربيعة وديار مضر ونواحى المغرب من يضبطها .

وفى يوم الثلاثاء لثمان خَلوْن من جمادى الأولى دخل المكتفى إلى داره بالحسنىّ ؛ فلما صار إلى منزله ، أمر بهدم المطامير التى كان أبوه اتّخذها لأهل الجرائم .

وفى هذا اليوم كنّى المكتفى بلسانه القاسم بن عبيد الله وخلع عليه .

وفى هذا اليوم مات عمرو بن الليث الصفار ، ودُفن فى غد هذا اليوم بالقرب من القصر الحسنىّ ، وقد كان المعتضد - فيما ذكر - عند موته بعد ما امتنع من الكلام أمر صافيا الحُرَمىّ بقتل عمرو بالإيماء والإشارة ، ووضع يده على رقبته وعلى عينه ، أراد ذبح الأعور فلم يفعل ذلك صافى لعلمه بحال المعتضد وقرْب وفاته ، وكره قتلَ عمرو ، فلما دخل المكتفى بغداد سأل - فيما قيل - القاسم بن عبيد الله عن عمرو : أحىٌّ هو ؟ قال: نعم ، فسرّ بحياته . وذُكر أنه يريد أنّ يحسن إليه ، وكان عمرو يهدى إلى المكتفى ويبرّه برًّا كثيراً أيام مقامه بالرّىّ فأراد مكافأته ، فذكروا أن القاسم بن عبيد الله كره ذلك ، ودسّ إلى عمرو مَنْ قتله .

وفى رجب منها ورد الخبر لأربع بقين منه أنّ جماعة من أهل الرّىّ كاتبوا محمد بن هارون الذى كان إسماعيل بن أحمد صاحب خراسان استعمله على طَبَرستان بعد قتله محمد بن زيد العَلَوِىّ ، فخلع محمد بن هارون وبيّض ، فسألوه المصير إلى الرّىّ ليدخلوه إليها ؛ وذلك أن أوكرتُمُش التركىّ المولّى عليهم كان - فيما ذكر - قد أساء السيرة فيهم ، فحاربه ، فهزمه محمد بن هارون وقتله ، وقتل ابنين له وقائداً من قوّاد السلطان يقال له أبرون أخو كَيْغلغ ، ودخل محمد بن هارون الرّىّ واستولى عليها .

وفى رجب من هذه السنة زلزلت بغـداد ، ودامت الزلزلة فيـها أيامًا وليالى كثيرة .

سنة ٢٨٩ :

وفيها ظهر بالشام رجل جمع جـموعًا كثيرة من الأعراب وغيرهم ، فأتى بهم دمـشق ، وبها طُغْج بن جُفّ من قِبَل هارون بن خـمارويه بن أحمـد بن طولون على المعونة ، وذلك فى آخـر هذه السنة ، فكانت بين طُغْج ، وبينه وقعات كثيرة قُتل فيها - فيما ذكر - خلق كثير .

*

ذكر خبر هذا الرجل

الذى ظهر بالشام وما كان من سبب ظهوره بها

ذكر أن زكرويْه بن مهرويْه الذى ذكرنا أنـه كان داعية قرمط لمّا تتابع من المعتضد توجيه الجيوش إلى من بسواد الكوفة من القرامطة ، وألحّ فى طلبهم ، وأثخن فـيهم القتلى ، ورأى أنه لا مدفع عن أنفـسهم عند أهل السواد ولا غَنَاء ، سعى فى استغـواء من قَرُب من الكوفة من أعراب أسد وطيّئ وتميم وغيرهم من قبـائل الأعراب ، ودعاهم إلى رأيه ؛ وزعم لهم أنّ مَنْ بالسواد من القـرامطة يطابقونهم على أمره إن استـجابوا له . فلم يستجيـبوا له ، وكانت جماعة من كلْب تخفـرُ الطريق على البرّ بالسماوة

فيما بين الكوفة ودمشق على طريق تَدْمُـر وغيرها ، وتحمل الرُّسل وأمتعة التجار على إبلها ، فأرسل زكرويه أولاده إليهم ، فبايعوهم وخالطوهم ، وانتمـوْا إلى علىّ بن أبى طالب وإلى محمد بن إسـماعيل بن جـعفر ، وذكروا أنهم خائفون من السلطان ، وأنهم ملجَئون إليهم ، فقبلوهم على ذلك ، ثم دبّوا فيـهم بالدعاء إلى رأى القـرمطة ؛ فلم يقـبل ذلك أحد منهم – أعنى من الكلبيّين – إلا الفخِذ المعروفة ببنى العُلَيص ابن ضمضم ابن عدىّ بن جناب ومواليهم خاصة ، فـبايعوا فى آخر سنة تسع وثمانين ومائتين بناحـية السماوة ابنَ زكـريه المسمى بيحـيى والمكنى أبا القاسم ، ولقّبوه الشيخ ، على أمر احتـال فيهم ، ولقب به نفَسه ، وزعم لهم أنه أبو عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد .

وقد قيل : إنه زعم أنه محمد بن عبد الله بن يحيى . وقيل إنه زعم إنه محمـد بن عـبد الله بن محمد بن إسـماعيل بن جعفر بن مـحمد بن علىّ بن الحـسين بن علىّ ابن أبى طالب . وقـيل إنه لم يكن لمحـمّد بن إسماعـيل ابنٌ يسمى عبد الله ، وزعم لهم أن أباه المعروف بأبى مـحمود داعيةٌ لـه ، وأنّ له بالسَّواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع ، وأن نـاقته التى يركبها مأمورة ، وأنهم إذا اتبعوها فى مسيرها ظفِروا . وتكهّن لهم، وأظهر عضداً له ناقصة ، وذكر أنهـا آية ، وانحازت إليه جماعة من بنى الأصبَغ ، وأخلـصوا له وتسمَّوْا بـالفاطميّين ، ودانـوا بدينه ، فقـصدهم سبُك الديلمىّ مولى المعـتضد بالله بناحية الرُّصافة ، واعـترضوا كلّ قرية

اجتازوا بها حتى أصعدوا إلى أعـمال الشآم التى كان هارون بن خمارويه قوطع عليـها ، وأسند أمرها هارون إلى طُغْج بن جُفّ ، فأناخ علـيها ، وهـزم كلّ عـسكر لقيـه لطغْج حـتى حصـره فى مدينة دمـشق ، فأنفـذ المصـريون إليـه بـدراً الكبير غـ ـم ابن طـولون ، فاجتـمـع مـع طُغْج على محاربتـه ، فواقعهم قريبًا ٠ن دمشق ، فقـتل الله عدوَّ الله يحيى بن زكرويه .

وكان سـبب قتله - فـيمـا ذُكر - أن بعض البـرابرة زرقه بمزراق[1] واتبعه نفّاط ، فزرقه بالنار فأحـرقه ؛ وذلك فى كبد الحرب وشدّتها ، ثم دارت على المصريّين الحرب ، فـانحازوا ، فاجتمـعت موالى بنى العُلَيص إلى بنى العليص ومَنْ معـهم من الأصبغيّين وغيـرهم على نصب الحسين بن زكرويه أخى الملقب بالشـيخ فنصبوا أخاه ، وزعم لهم أنـه أحمد بن عبـد الله بن محـمد بن إسـماعيل بن جـعفـر بن محـمد وهو ابن نَيّف وعشرين سنـة ، وقد كان الملقّب بالشيخ حـمل موالى بنى العليص على صريحـهم ، فقتـلوا جماعـةً منهم ، واستذلُّوهم ، فـبايعـوا الحسين بن زكرويه المسمّى بأحمد بن عبد الله بن محمد بن إسمـاعيل بن جعفر بعد أخيه ، فأظهر شامة فى وجهـه ذكر أنها آيته ، وطرأ إليه ابن عمّه عيسى ابن مِهْرويه المسمى عبـد الله ، وزعم أنه عبد الله بن أحمد بن مـحمد بن

(١) زرقه بالمزراق ، طعنه أو رماه به . والمزراق : رمح قصير .

إسمـاعيل بن جعـفر بن محمـد ، فلقّبه المدثّر ، وعَهد إليـه ؛ وذكر أنه المعنىّ فى السورة التى يذكر فيـها المدّثر ، ولقّب غلامًا من أهله المطوّق ، وقلّده قتل أسـرى المسلمين ، وظهر على المصـريّين ، وعلى جند حمُص وغيرها من أهل الشآم ، وتَسمّى بإمرة المؤمنين على منابرها ، وكـان ذلك كله فى سنة تسع وثمانين ، وفى سنة تسعين .

*

وفى اليوم التـاسع من ذى الحجّة من هذه السنة صلّى الناس العـصر فى قُمُص الصيف ببغداد ، فهبّت ريح الشـمال عند العصر ، فبرد الهواء حتـى احتـاج الناس بها من شـدّة البرد إلى الوقـود والاصطلاء بالنّار ، ولبس المحشوّ والجباب ، وجعل البرد يزداد حتى جمد الماء .

وفيها كـانت وقعة بين إسماعيل بن أحمـد بالرىّ ومحمد بن هارون وابن هارون – فيما قيل – حينئذ فى نحو من ثمانية آلاف ، فانهزم محمد ابن هارون وتقدم. . . [1] أصحـابَه ، وتبعه من أصحـابه نحو من ألف ، ومضوْا نحو الدَّيلم ، فدخلهـا مستجيراً بها ، ودخل إسمـاعيل بن أحمد الرّىّ ، وصار زهاء ألف رجل – فيما ذكـر – ممّن انهزم من أصحابه إلى باب السلطان .

وفى جمـادى الآخرة منها لأربع خلوْن منهـا ولِىَ القاسم بن سيـما

(١) بياض فى الأصل .

غـزو الصـائفة بالثـغـور الجزَرِيـة ، وأطلِق له من المال اثنا وثلاثون ألف دينار .

وحجّ بالناس فى هذه السنة الفضل بن عبد الملك الهاشمىّ .

سنة ٢٩٠ : أهم الأحداث :

فممّا كان فيها من ذلك توجيه المكتفى رسولاً إلى إسماعيل بن أحمد لليلتين خلتا من المحرّم منها بـخلع ، وعقد ولاية له على الرّىّ ، وبهدايا مع عبد الله بن الفتح .

ولخمس بقـين من المحرّم منها ورد - فـيمـا ذكر - كتـاب علىّ بن عيسى من الرّقـة ، يذكر فيه أن القرمطىّ بن زكـرويه المعروف بالشيخ ، وافَى الرَّقة فى جَمْع كـثيـر ، فخرج إليـه جمـاعة من أصحـاب السلطان ورئيسهم سُبْك غلام المكتفى ، فواقـعوه ، فقتِل سُبْك ، وانهزم أصحاب السلطان .

ولستّ خلوْن من شـهـر ربيع الآخر ورد الخـبـر بأن طغج بن جفّ أخرج من دمشق جـيشًا إلى القرمطىّ ، عليهم غـلام له يقال له بَشِير ، فواقعهم القرمطىّ ، فهزم الجيش وقتل بشيراً .

ولثلاث عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خُلع على أبى الأغرّ ووُجّه به لحرب القرمطىّ بناحية الشآم، فمضى إلى حلَب فى عشرة آلاف رجل.

ولإحدى عشرة بقيت من شهر ربيع الآخر خُلع على أبى العشائر أحمد بن نصر ووُلِّىَ طَرسوس . وعزِل عنها مظفَّر بن حاجّ لشكاية أهل الثغور إياه .

وللنصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، وردت كتب التجار إلى بغداد من دمشق مؤرّخة لسبع بقين من ربيع الآخر يخبرون فيها أن القرمطىّ الملقب بالشيخ قد هزم طغج غير مرة ، وقتل أصحابه إلا القليل ، وأنه قد بقى فى قلة وامتنع من الخروج ، وإنما تجتمع العامة ، ثم تخرج للقتال ، وأنهم قد أشرفوا على الهلكة ، فاجتمعت جماعة من تجار بغداد فى هذا اليوم ، فمضوا إلى يوسف بن يعقوب ، فأقرءوه كتبهم ، وسألوه المضىّ إلى الوزير ليخبره خبر أهل دمشق ، فوعدهم ذلك .

ولسبع بقين من جمادى الأولى أحضِر دار السلطان أبو خازم ويوسف وابنه محمد ، وأحضِر صاحب طاهر بن محمد بن عمرو بن الليث ، فقوطع على مال فارس ، ثم عقد المكتفى لطاهر على أعمال فارس ، وخلع على صاحبه ، وحُمِلت إليه خلع مع العقد .

وفى جُمادى الأولى هرب من مدينة السلام القائد المستأمِن المعروف بأبى سعيد الخُوارزمىّ ، وأخذ نحو طريق الموصِل ، فكتِب إلى عبد الله المعروف بغلام نون ، وكان يتقلّد المعاون بتكَريت والأعمال المتّصلة بها إلى حدّ سامراّ وإلى الموصِل فى معارضته وأخذه ، فزعموا أن عبد الله

عارضه ، فاختدعه أبو سعيد حتى اجتمعا جميعًا على غير حرب ، ففتك به أبو سعيد فقتله ، ومضى أبو سعيد نحو شهرزور ، فاجتمع هو وابن أبى الربيع الكُردىّ ، وصاهره ، واجتمعا على عصيان السلطان . ثم إنّ أبا سعيد قُتِل بعد ذلك ، وتفرّق مَنْ كان اجتمع إليه .

ولعشر خلوْن من جُمادى الآخرة ، شخص أبو العشائر إلى عمله بِطَرسوس ، وخرج معه جماعة من المطّوِّعة للغزو ، ومعه هدايا من المكتفى إلى ملك الروم .

ولعشر بقين من جمادى الآخرة خرج المكتفى بعد العصر عامدًا سامُرّا ، مريدًا البناء بها للانتقال إليها ، فدخلها يوم الخميس لخمس بَقين من جمادى الآخرة ، ثم انصرف إلى مضارب قد ضُربت له بالجوسق ، فدعا القاسم بن عبيد الله والقوّام بالبناء ، فقدّروا له البناء وما يحتاج إليه من المال للنفَقَة عليه ، فكثرُوا عليه فى ذلك ، وطَوّلوا مدّة الفراغ مما أراد بناءه ، وجعل القاسم يصرفه عن رأيه فى ذلك ، ويعظِّم أمَر النفقة فى ذلك وقدر مبلغ المال ، فثناه عن عزمه ، ودعا بالغَداء ، فتغدّى ثم نام ، فلما هبّ من نومه ركب إلى الشطّ ، وقعد فى الطيّار ، وأمر القاسم بن عبيد الله بالانحدار . ورجع أكثر الناس من الطريق قبل أن يصلوا إلى سامُرّا حين تلقّاهم الناس راجعين .

ولسبع خلوْن من رجب خُلع على ابنى القاسم بن عبيد الله ، فُولّى الأكبر منهما ضياع الولد والحرم والنفقات ، والأصغر منهما كتبة أبى

أحمد بن المكتفى ؛ وكانت هذه الأعمال إلى الحسين بن عمرو النصرانىّ، فعُزل بهما ، وكان القاسم بن عبيد الله اتّهم الحسين بن عمرو أنه قد سعى به إلى المكتفى .

ثم إن الحسين بن عمرو كاشفَ القاسم بن عبيد الله بحضرة المكتفى ، فلم يزل القاسم يدبّر عليه ، ويغلظ قلب المكتفى عليه ، حتى وصل إلى ما أراد من أمره .

وفى يوم الجمعة لأربع عشرة بقيت من شعبان قرئ كتابان فى الجامعين بمدينة السلام بقتل يحيى بن زكرويه الملقّب بالشيخ ، قتله المصريون على باب دمشق ؛ وقد كانت الحرب اتّصلت بينه وبين مَنْ حاربه من أهل دمشق وجندها ومددهم من أهل مصر ، وكسر لهم جيوشًا ، وقتل منهم خلْقًا كثيرًا ، وكان يحيى بن زكرويه هذا يركب جملا برحاله ، ويلبس ثيابًا واسعة ويعتمّ عمة إعرابية ، ويتلثّم ، ولم يركب دابّةً من لدن ظهر إلى أن قُتِل ، وأمر أصحابه ألا يحاربوا أحدًا ؛ وإن أتى عليهم حتى ينبعث الجمل من قبَل نفسه ؛ وقال لهم : إذا فعلتم ذلك لم تهزموا .

وذُكر أنه كان إذا أشار بيده إلى ناحية من النّواحى التى فيها محاربوه ، انهزم أهل تلك الناحية ، فاستغوَى بذلك الأعراب . ولمّا كان فى اليوم الذى قُتِل فيه يحيى بن زكرويه الملقب بالشيخ ، وانحازوا إلى أخيه الحسين بن زكرويه ، فطلب أخاه الشيخ فى القتلى ، فوجده ، فواراه

وعقد الحسين بن زكرويه لنفسه ، وتَسمّى بأحمد بن عبدالله ، وتكنَّى بأبى العباس .

وعلم أصحابُ بدر بعد ذلك بقتل الشيخ ، فطلبوه فى القتلى فلم يجدوه ، ودعا الحسين بن زكرويه إلى مثل ما دعا إليه أخوه ، فأجابه أكثر أهل البوادى وغيرهم من سائر الناس ، واشتدّت شوكته وظهر . وصار إلى دمشق ، فذُكر أن أهلها صالحوه على خراج دفعوه إليه ، ثم انصرف عنهم ، ثم سار إلى أطراف حِمْص ، فتغلّب عليها ، وخُطب له على منابرها ، وتسمّى بالمهدىّ ، ثم سار إلى مدينة حِمْص ، فأطاعه أهلها ، وفتحوا له بابها خوفًا منه على أنفسهم فدخلها ، ثم سار منها إلى حَماة ومعرّة النعمان وغيرهما ، فقتل أهلها ، وقتل النساء والأطفال ثم سار إلى بعلبك فقتل عامة أهلها حتى لم يبق مَنهم - فيما قيل - إلا اليسير ، ثم سار إلى سَلَمْية فحاربه أهلها ومنعوه الدخول ، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان ، ففتحوا له بابها ، فدخلها ، فبدأ بمَن فيها من بنى هاشم ، وكان بها منهم جماعة فقتلهم ، ثم ثنى بأهل سَلَمْية فقتلهم أجمعين . ثم قتل البهائم ، ثم قتل صبيان الكتاتيب ، ثم خرج منها ؛ وليس بها عين تطرف - فيما قيل - وسار فيما حواليْ ذلك من القرى يقتل ويَسْبِى ويحرِق ويُخيف السبيل .

فذكر عن متطبّب بباب المحوّل يُدعى أبا الحسن أنه قال : جاءتْنى امرأة بعدما أدخل القرمطىّ صاحب الشامة وأصحابه بغداد ، فقالت لى :

إنى أريد أن تعالج شيئًا فى كتفى ، قلتُ : وما هو ؟ قالت : جرح ، قلت : أنا كحّال ؛ وها هنا امرأة تعالج النساء ، وتعالج الجراحات ، فانتظرى مجيئها . فقعدت ، ورأيْتها مكروبة كئيبة باكية ، فسألتُها عن حالها ، وقلت : ما سبب جراحتك ؟ فقالت : قصّتى تطول ، فقلت : حدّثينى بها وصادقينى ، وقد خلا مَنْ كان عندى ، فقالت : كان لى ابن غاب عنّى ، وطالت غيبته ، وخلّف علىّ أخوات له ، فضقتُ واحتجت. واشتقتُ إليه ، وكان شخص إلى ناحية الرّقة ، فخرجتُ إلى الموصل وإلى بَلَد وإلى الرّقة ؛ كلّ ذلك أطلبه ، وأسأل عنه ؛ فلم أدَلّ عليه ، فخرجتُ عن الرّقة فى طلبه ، فوقعت فى عسكر القرمطىّ ، فجعلت أطوف وأطلبه ؛ فبينما أنا كذلك إذْ رأيتُه فتعلقت به ، فقلت : ابنى ! فقال : أمى ! فقلت : نعم ، قال : ما فعل أخواتى ؟ قلت : بخير ، وشكوت ما نالنا بعده من الضيّق ، فمضى بى إلى منزله ، وجلس بين يدىّ ، وجعل يسائلنى عن أخبارنا ، فخبّرته ، ثم قال : دَعينى من هذا وأخبرينى ما دينك ؟ فقلت : يا بنىّ أما تعرُفنى ! فقال : وكيف لا أعرفك ! فقلت : ولِمَ تسألنى من دينى وأنت تعرفنى وتعرف دينى ! فقال : كلّ ما كنّا فيه باطل ، والدّين ما نحن فيه الآن ، فأعظمتُ ذلك وعجبت منه ، فلما رآنى كذلك خرج وتركنى . ثم وجّه إلىّ بخبز ولحم وما يصلحنى ، وقال : اطبخيه ، فتركتُه ولم أمسّه ، ثم عاد فطبخه ، وأصلح أمر منزله ، فدقّ الباب داقٌّ ؛ فخرج إليه فإذا رجل يسأله ،

ويقول له : هذه القادمة عليك أن تُحسن أن تصلح من أمر النساء شيئًا ؟ فسألنى فقلت : نعم ، فقال : امضى معى ، فمضيت فأدخلنى دارًا ، وإذا امرأة تطلق ، فقعدت بين يديها ، وجعلت أكلّمها ، فلا تكلّمنى ، فقال لى الرجل الذى جاء بى إليها : ما عليك من كلامها ، أصلحى أمر هذه ، ودَعِى كلامها ، فأقمتُ حتى ولدت غلامًا ، وأصلحتُ من شأنه ، وجعلت أكلّمها وأتلطف بها وأقول لها : يا هذه ، لا تحتشمينى ؛ فقد وجب حقِّى عليك ، أخبرينى خبرك وقصّتك ومَن والد هذا الصبىّ ، فقالت : تسألينى عن أبيه لتطالبيه بشىء يهبه لك ! فقلت : لا ، ولكن أحبّ أن أعلم خبرك ، فقالت لى : إنى امرأة هاشمية - ورفعْت رأسها ؛ فرأيت أحسَن الناس وجهًا - وإن هؤلاء القوم أتْونا ، فذبحوا أبى وأمّى وإخوتى وأهلى جميعًا ، ثم أخذنى رئيسهم ، فأقمتُ عنده خمسة أيام ، ثم أخرجنى فدفعنى إلى أصحابه ، فقال : طهّروها فأرادوا قتلى ، فبكيتُ . وكان بين يديه رجل من قوّاده ، فقال : هبها لى ، فقال : خذها ، فأخذنى ، وكان بحضرته ثلاثة أنفس قيام من أصحابه ، فسلُّوا سيوفهم ، وقالوا : لا نسلّمها إليك ؛ إمَّا أن تدفَعها إلينا ، وإلاّ قتلناها . وأرادوا قتلى ، وضجّوا ، فدعاهم رئيسهم القرمطىّ ، وسألهم عن خبرهم فخبَّروه ، فقال : تكون لكم أربعتكم ، فأخذونى ، فأنا مقيمة معهم أربعتهم ، والله ما أدرى ممّن هو هذا الولد منهم !

قالت : فجاء بعد المساء رجل فقالت لى : هنّية فهنأته بالمولود ،

فأعـطانى سبـيكة فضـة ، وجاء آخـر وآخر ، أهنِّئُ كلّ واحـد منهم ، فيعطينى سـبيكة فضة ؛ فلمـا كان فى السحر جاء جـماعة مع رجل وبين يديه شـمع ، وعليه ثيـاب خـزّ تفـوح منه رائحـة المسك ، فقـالت لى : هنّيه ، فقمت إليه ، فقلت : بيَّض الله وجهك ، والحمد لله الذى رزقك هذا الابن ، ودعوت له ، فأعطانى سبيكة فيها ألف درهم ، وبات الرجل فى بيت ، وبتّ مع المرأة فى بـيت ، فلما أصـبـحت قلت للمـرأة : يا هذه، قـد وجب عليك حقّى ، فـالله الله فىّ ، خلصـينى ! قـالت : ممّ أخلصك ؟ فخبرتُها خبر ابنى ، وقلت لها : إنى جئتُ راغبة إليه ، وإنه قـال لى كـيت وكيت ، ولـيس فى يدى منه شىء ، ولى بنات ضِعـاف خلّفتهنّ بأسوأ حال ، فخلِّصينى من ها هنا لأصلَ إلى بناتى ، فقالت : عليك بالرّجل الذى جـاء آخر القـوم ، فـسليه ذلك ، فـإنه يخلصك ، فأقـمتُ يومـى إلى أن أمسـيتُ ؛ فلما جـاء تقدّمت إليه ، وقـبّلتُ يده ورجله ، وقلت : يا سيّدى قد وجب حقّى عليك ، وقد أغنانى الله على يديك بما أعطيتنى ، ولى بنات ضِعاف فـقراء ، فإن أذنت لى أن أمضىَ فأجـيئك ببناتى حـتى يخدمنك ويكـنّ بين يديك ! فقال : وتـفعلين ؟ قلت: نعم ، فدعا قومًا من غلمانه . فقال : امضوا معها حتى تبلغوا بها موضع كذا وكـذا ، ثم اتركوها وارجعوا . فحـملونى على دابّة ، ومضْوا بى ، قالت : فبينمـا نحن نسير ، وإذا أنا يابنى يركُض ، وقد كنا سِرْنا عشرة فـراسخ - فيما خـبّرنى به القوم الذين معى - فلحـقنى وقال : يا

فاعلة ، زعمتِ أنك تمضين وتجيئين ببناتِك ! وسلّ سيفه ليضربنى ، فمنعه القوم ، فلحقنى طرف السيف ، فوقع فى كتفى ، وسلّ القوم سيوفَهم ، فأرادوه ، فتنخّى عنى . وساروا بى حتى بلغوا بى الموضع الذى سمّاه لهم صاحبهم ، فتركونى ومضوا ، فتقدّمت إلى ها هنا وقد طفتُ لعلاج جرحى ، فوُصف لى هذا الموضع ، فجئت إلى ها هنا . قالت : ولما قدم أمير المؤمنين بالقرمطىّ وبالأسارى من أصحابه خرجتُ لأنظر إليهم ؛ فرأيت ابنى فيهم على جمل ؛ عليه برنس وهو يبكى وهو فتًى شابّ ، فقلت له : لا خفّف الله عنك ولا خلّصك ! قال المتطبِّب : فقمت معها إلى المتطبّبة لما جاءت ، وأوصيتُها بها ، فعالجت جرحَها وأعْطَتْها مَرهمًا ، فسألت المتطبّبة عنها بعد منصرفها ، فقالت : قد وضعت يدى على الجرح ، وقلت : انفحى ، فنفحت فخرجتُ الريح من الجرح من تحت يدى ، وما أراها تبرأ منه ، ومضت فلم تعد إلينا .

ولإحدى عشرة بقيتْ من شوّال من هذه السنة ، قبض القاسم بن عبيد الله على الحسين بن عمرو النصرانىّ ، وحبسه ، وذلك أنه لم يزل يسعى فى أمره إلى المكتفى ، ويقدح فيه عنده ؛ حتى أمره بالقبض عليه، وهرب كاتب الحسين ابن عمرو حتى قبض على الحسين المعروف بالشيرازىّ ، فطُلب وكُبِست منازل جيرانه ، ونُودى : مَنْ وجده فله كذا وكذا ، فلم يوجد .

ولسبع بقين منه صُرف الحسين بن عمرو إلى منزله ، على أن يخرج

من بغداد . وفى الجمعة التى بعدها خرج الحسين بن عمرو وحُدِر إلى ناحية واسط على وجه النفى ، ووُجد الشيرازىُّ كاتبه لثلاث خلون من ذى القعدة .

ولليلتين خلتا من شهر رمضان من هذه السنة أمر المكتفى بإعطاء الجند أرزاقَهم والتأهّب للشخوص لحرب القرمطىّ بناحية الشآم ، فأطلق للجند فى دفعة واحدة مائة ألف دينار ؛ وذلك أنّ أهل مصر كتبوا إلى المكتفى يشكُون ما لقُوا من ابن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ، وأنه قد أخرب البلاد ، وقتل الناس ، وما لَقُوا من أخيه قبله وقتلهما رجالهم ، وأنه لم يبق منهم إلا العدد اليسير .

ولخمس خلوْن من شهر رمضان أخرِجت مضارب المكتفى ، فضُربت بباب الشماسيّة .

ولسبع خلوْن منه خرج المكتفى من السّحَر إلى مضربه بباب الشّماسية ، ومعه قواده وغلمانه وجيوشه .

ولاثنتى عشرة ليلة من شهر رمضان ، رحل المكتفى من مضربه بباب الشماسيّة فى السَّحَر ، وسلك طريق الموصِل .

وللنصف من شهر رمضان منها مضى أبو الأغرّ إلى حلب ، فنزل وادى بُطْنَان قريبًا من حلَب ، ونزل معه جميع أصحابه ، فنزع - فيما ذُكر - جماعة من أصحابه ثيابهم ، ودخلوا الوادى يتبرّدون بمائة ، وكان

يومًا شـديد الحرّ ؛ فـبـيناهم كـذلك إذ وافَى جيش القـرمطىّ المعـروف بصـاحب الشامـة ، وقد بدرهم المعـروف بالمطوّق ، فكبَسـهم على تلك الحال ، فـقتل منهم خلقًا كثـيراً وانتهب العـسكر ، وأفلت أبو الأغرّ فى جمـاعة من أصـحابه ، فدخل حلَب ، وأفلت مـعه مـقدار ألف رجل ، وكان فى عشـرة آلاف بين فارس وراجل ، وكان قد ضُمّ إليه جـماعة ممّن كان على باب السلـطان من قوّاد الفراغنة ورجـالهم ، فلم يفلتْ منهم إلا اليسير . ثم صار أصحـاب القرمطىّ إلى باب حلَب ، فحاربهم أبو الأغرّ ومَن بقىَ مـعه من أصحـابه وأهل البلد ، فانـصرفوا عنه بمـا أخذُوا من عسكره من الكُراع والسلاح والأمـوال والأمتعة بعـد حرب كانت بينهم ، ومضى المكتـفى بمَنْ معـه من الجيش حـتى انتهى إلى الرّقة ، فـنزلها ، وسرّح الجيوش إلى القرمطىّ جيشًا بعد جيش .

ولليلتين خلتا من شوّال ورد مدينة السلام كـتابٌ من القاسم بن عبيد الله ، يخبر فيه أن كتابًا ورد عليه من دمشق من بدر الحمامىّ صاحب ابن طولون ، يخبر فيه أنه واقع القرمطىّ صـاحب الشامة ، فهزمه ووضع فى أصحابه السيف ، ومضى مَنْ أفلت منهم نحو البادية ، وأنّ أمير المؤمنين وجّه فى أثره الحسين بن حمدان بن حمدون وغيره من القوّاد .

وورد أيضًا فى هذه الأيام - فـيمـا ذكر - كـتـاب من البحـرين من أميرها ابن بانوا ، يذكر فيه أنه كبس حصنا للقرامطة ، فظَفر بمن فيه .

ولثلاث عشرة خـلت من ذى القعدة منها - فيمـا ذكر - ورد كتاب

آخر من ابن بانوا مـن البحرين ، يذكـر فيه أنه واقع قـرابة لأبى سعـيد الجنابىّ ، وولىّ عهده من بعده على أهل طاعته ، فهزمه ، وكان مقام هذا المهزوم بالقطيف فوُجـد بعدما انهزم أصحـابه قتيلا بين القتلى ، فـاحتزّ رأسه ، وأنه دخل القطيف فافتتحها .

سنة ٢٩١ - أهم الأحداث :

[ذكر خبر الواقعة بين أصحاب السلطان وصاحب الشامة]

فمن ذلك مـا كان من أمر الوقـعة بين أصحـاب السلطان وصاحب الشامة :

ذكر الخبر عن هذه الوقعة :

قال أبو جعفر : قد مضى ذكـرىَ شخوصَ المكتفى من مدينة السلام نحو صـاحب الشامة لحربه ومـصيره إلى الرّقة ، وبثـه جيوشَه فيـما بين حلب وحِمْص ، وتوليِته حرب صاحب الشامة محمد بن سليمان الكاتب وتصيـيره أمْرَ جـيشـه وقوّاده إليـه ؛ فلما دخلت هذه السنة كـتب وزيره القاسم بن عـبيد الله إلى محـمد بن سليمان وقـوّاد السلطان يأمره وإيّاهم بمناهضة ذى الشامة وأصحابه ، فساروا إليه حتى صاروا إلى موضع بينهم وبين حَماة - فيما قيل - اثنا عشـر ميلا ، فلقُوا به أصحابَ القرمطىّ فى يوم الثلاثاء لست خَلَوْن من المحرّم ، وكان القرمطىّ قدّم أصحابه وتخلّف هو فى جماعـة من أصحابه ، ومعـه مالٌ قد كان جمـعه ، وجعل السَّواد

وراءه ، فالتحمت الحرب بين أصحاب السلطان وأصحاب القرمطيّ ، واشتدّت ، فهُزم أصحاب القرمطيّ ، وقتِلوا ، وأسِرَ من رجالهم بشرٌ كثير ، وتفرّق الباقون فى البوادِى ، وتَبِعهم أصحابُ السلطان ليلة الأربعاء لسبع خلوْن من المحرّم . فلمّا رأى القرمطيّ ما نزل بأصحابه من الفُلول والهزيمة حمّل - فيما قيل - أخًا له يكنى أبا الفضل مالا ، وتقدّم إليه أن يلحق بالبوادى إلى أن يظهر فى موضع ، فيصير إليه ، وركب هو وابن عمّه المسمّى المدثّر والمطوّق صاحبه وغلام له روميّ . وأخذ دليلا ، وسار يريد الكوفة عرَضًا فى البريّة ، حتى انتهى إلى موضع يعرف بالدّاليّة من أعمال طريق الفُرات ، فنفد ما كان معهم من الزّاد والعلف ، فوجّه بعض مَن كان معه ليأخذ له ما يحتاجون إليه ، فدخل الدالية المعروفة بدالية ابن طَوْق لشراءِ حاجةٍ ، فأنكْروا زيّة ، وسُئِل عن أمره فمجمج[1] ، فأعلِم المتولى مسلحة هذه الناحية بخبره ، وهو رجل يعرف بأبى خُبْزَة خليفة أحمد بن محمد بن كُشْمَرْد عامل أمير المؤمنين المكتفى على المعاون بالرّحبة وطريق الفرات . فركب فى جماعة ، وسأل هذا الرجل عن خبره ، فأخبره أن الشامة خلف رابية هنالك فى ثلاثة نفر.

فمضى إليهم ، فأخذهم وصار بهم إلى صاحبه ، فتوجّه بهم ابن

(١) قال فى اللسان : « مجمج بى يمجمج ؛ إذا ذهب بك فى الكلام مذهبًا غير الاستقامة وردك من حال إلى حال » .

كُشَمَرد وأبو خبزة إلى المكتفى بالرّقة ، ورجعت الجيوش من الطلب بعد أن قتلوا وأسروا جميعَ مَنْ قدروا عليه من أولياء القرمطىّ وأشياعه ، وكتب محمد بن سليمان إلى الوزير بالفتح قائلاً :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد تقدّمت كتبى إلى الوزير أعزه الله فى خبر القرمطىّ اللعين وأشياعه ؛ بما أرجو أن يكون قد وصل إن شاءَ الله . ولمّا كان فى يوم الثلاثاء لست ليال خلون من المحرّم رحلتُ من الموضع المعروف بالقروانة ، نحو موضع يعرف بالعليانة ، فى جميع العسكر من الأولياء ، وزحْفنا بهم على مراتبهم فى القلب والميمنة والميسرة وغير ذلك؛ فلم أبعد أن وافانى الخبر بأن الكافر القرمطىّ أنفذ النعمان ابن أخى إسماعيل بن النعمان أحد دعاته فى ثلاثة آلاف فارس ، وخلْق من الرّجّالة ، وإنه نزل بموضع يعرف بتمنع ، بينه وبين حماة اثنا عشر ميلاً، فاجتمع إليه جميع مَنْ كان بمعرّة النعمان وبناحية الفصيصىّ وسائر النواحى من الفرسان والرّجّالة ، فأسررت ذلك عن القوّاد والناس جميعًا ولم أظهره ، وسألتُ الدّليل الذى كان معى عن هذا الموضع ، وكم بيننا وبينه ، فذكر أنه ستة أميال ، فتوكلّت على الله عزّ وجلّ ، وتقدّمت إليه فى المسير نحوه ، فمال بالناس جميعًا ، وسرنا حتى وافيتُ الكفرة ، فوجدتهم على تعبئة ، ورأينا طلائعهم . فلمّا نظروا إلينا مقبلين زحفوا نحونا ، وسرنا إليهم ، فافترقوا ستّة كراديس ، وجعلوا على ميسرتهم - على ما أخبرنى من ظفرتُ به من رؤسائهم - مسروراً العُليصىّ وأبا

الحمل وغـلام هارون العُليصىّ ، وأبا الـعذاب ورجاء وصـافى وأبا يعلى العلوىّ ، فى ألف وخمســمائة فارس ، وكمنوا كمينًا فى أربعـمائة فارس خلْف مـيســرتهم بإزاء ميـمنتنا ، وجـعلوا فى القلب النعـمان العُليـصىّ والمعـروف بأبى الحَطّى ، والحـمـارىّ وجـمـاعـة من بطـلانهم فى ألف وأربعـمائة فـارس وثلاثة آلاف راجل ، وفى مـيـمنتهم كليبًا العليـصىّ والمعروف بالســديد العليصىّ والحسين بن العليصى وأبا الجـراح العليصى وحميد العليصىّ وجماعة من نظرائهم فى ألف وأربعمائة فارس ، وكمنوا مائتى فـارس ؛ فلم يزالوا زِفًّا إلينا ونحن نسيـر نحوهـم غـير متـفرّقين ، متـوكّلين على الله عزّ وجل . وقد اسـتحـثـثتُ الأولياء والغلمـان وسائر الناس غيرهم ، ووعدتهم . فلما رأى بعضُنا بعضًا حمل الكردوس الذى كان فى ميســرتهم ضربًا بالسياط ، فقصـد الحسين بن حمدان ، وهو فى جناح الميـمنة ، فاسـتقـبلهم الحسين – بارك الله عليـه وأحســن جزاءه – بوجهه وبموضعه من سائر أصـحابه برماحهم ، فكسروها فى صدورهم ، فـانفلّوا عنهم ، وعاود الـقرامطة الحـمل عليـهم ، فأخـذوا السيـوف ، واعترضوا ضــربًا للوجوه فصُرِع من الكفار الفجرة سـتمائة فرس فى أوّل وقعة ، وأخـذ أصحاب الحسين خمـسمائة فرس وأربعمـائة طوّق فضة ، وولّوْا مدبرين مـفلولين ، واتّبعهم الحـسين ، فرجعـوا عليه ، فلم يزالوا حملة وحملة ، وفى خلال ذلك يصرع منهم الجماعة بعد الجماعة ؛ حتى أفناهم الله عزّ وجلّ ، فلم يفلت منهم إلاّ أقل من مائتى رجل .

وحمل الكردوس الذى كان فى ميمنتـهم على القاسم بن سيما ويُمْن

الخادم ومَنْ كان معـهما من بنى شيبان وبنى تميم ، فاسـتقبلوهم بالرّماح حتى كسـرُوها فيهم ؛ واعتنق بعضُهم بعـضًا ، فقتِل من الفجرة جـماعةٌ كثيرة . وحمل عليهم فى وقت حملتهم خليفة بن المبارك ولؤلؤ ، وكنت قد جعلته جناحًا لخليفة فى ثلثمائة فارس ، وجميع أصحاب خليفة ؛ وهم يعاركون بنى شيبان وتميم ، فقتِل من الـكفرة مقتلة عظيمة ، واتّبعوهم ، فأخذ بنو شيـبان منهم ثلثمائة فرس ومائة طوْق ، وأخذ أصـحاب خليفة مثلَ ذلك ؛ وزحف الـنعمان ومَنْ مـعه فى القلْب إلينا ، فـحملتُ ومَنْ معى ، وكنت بين القلب والميمنة ، وحمل خاقان ونصر القشورىّ ومحمد ابن كُمُشجُور ومَنْ كان معهم فى الميمنـة ، ووصيف مُوشكير ومحمد بن إسحاق بن كُنْداجيق وابنا كَيْغلَغ والمبارك القمّى وربيعة بن محمد ومهاجر ابن طليق والمظفّر بن حـاج وعبد الله بن حـمدان وحىّ الكبيـر ووصيف البكتمرىّ وبشر البكتمرىّ ومحمد بن قَراطُغان .

وكـان فى جناح الميمـنة جميـعُ من حـمل على مَنْ فى القلب ومَن انقطع ممّن كان حـمل على الحسين بن حمدان ، فلم يزالوا يقـتلون الكفار فرسانهـم ورجّالتهم حتى قُتلوا أكثـر من خمسة أمـيال . ولما أن تجاوزتُ المصافّ بنصف ميـل خفتُ أن يكون من الكفار مكيدة فى الاحـتيال على الرّجالة والسواد ، فوقفتُ إلى أن لحقونى . وجمعتهم وجمعت الناس ، إلىّ وبين يدى المطرد المبـارك ، مطرد أمـير المؤمنـين ، وقد حـملت فى الوقت الأول ، وحمل الناس : ولم يزل عـيسى النوشرى ضـابطًا للسواد

من مصافّ خلفهم مع فرسانه ورجّالته على ما رسمتُه له ، لم يَزُل من موضعه إلى أن رجع الناس جميعًا إلىّ من كلّ موضع ، وضربت مضربى فى الموضع الذى وقفت فيه ؛ حتى نزل الناس جميعًا ، ولم أزل واقفًا إلى أن صلّيت المغربَ ، حتى استقرّ العسكر بأهله ، ووجّهت فى الطلائع ثم نزلت ؛ وأكثرت حمد الله على ما هنّأنا به من النصر، ولم يُبق أحد من قوّاد أمير المؤمنين وغلمانه ولا العجم وغيرهم غاية فى نصر هذه الدولة المباركة فى المناصحة لها إلاّ بلغوها ؛ بارك الله عليهم جميعًا !

ولمّا استراح الناس خرجت والقوّاد جميعًا لنقيم خارج العسكر إلى أن يصبح الناس خوفًا من حيلة تقع ، وأسأل الله تمام النعمة وإيزاع الشكر ؛ وأنا أعزّ الله سيدنا الوزير - راحل إلى حَماة ، ثم أشخص إلى سليمة بمنّ الله تعالى وعونّه ، فمن بَقِىَ من هؤلاء الكفار مع الكافر فهم بسلمية ؛ فإنه قد صار إليها منذ ثلاثة أيام ، وأحتاج إلى أن يتقدم الوزير بالكتاب إلى جميع القوّاد وسائر بطون العرب من بنى شَيْبان وتغلب وبنى تميم ، يجزيهم جميعًا الخير على ما كان فى هذه الوقعة ؛ فما بقّىَ أحد منهم - صغير ولا كبير - غاية ، والحمد لله على ما تفضّل به ، وإياه أسأل تمامَ النعمة .

ولما تقدّمت فى جمع الرءوس ، وُجِد رأس أبى الحمل ورأس أبى العذاب وأبى البغل . وقيل إن النعمان قد قُتِل ؛ وقد تقدّمت فى طلبه ، وأخذ رأسِه وحمله مع الرءوس إلى حضرة أمير المؤمنين إن شاء الله .

وفى يوم لاثنين الأربع بقين من المحرّم ، أدخِل صاحب الشامة إلى الرّقة ظاهراً للناس على فالج ، عليه برنس حرير ودرّاعية ديباج ، وبين يديه المدثّر والمطوّق على جملين .

ثم إن المكتفى خلّف عساكره مع محمد بن سليمان ، وشخص فى خاصّته وغلمانه وخدمه ، وشخص معه القاسم بن عبيد الله من الرّقة إلى بغداد وحمل معه القرمطىّ والمدثّر والمطوّق وجماعة من أسارى الوقعة ، وذلك فى أول صفر من هذه السنة .

فلما صار إلى بغداد عزم – فيما ذكر – على أن يدخل القرمطىّ مدينة السلام مصلوبًا على دَقَل ، والدّقل على ظهر فيل ؛ فأمر بهدم طاقات الأبواب التى يجتاز بها الفيل ، إن كانت أقصر من الدَّقل ؛ وذلك مثل باب الطاق وباب الرّصافة وغيرهما .

ثم استسمج المكتفى – فيما ذكر – فعل ما كان عزم عليه من ذاك ، فعمل له دميانة – غلام يا زَمان – كرسيًا ، وركّب الكرسىّ على ظهر الفيل ، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعيْن ونصف ذراع – فيما قيل – ودخل المكتفى مدينة السلام بغداد صبيحة يوم الاثنين لليلتين خَلَتا من شهر ربيع الأول ، وقُدّم الأسرى بين يديه على جمال مقيّدين ، عليهم دراريع حرير وبرانس حرير ، والمطوّق فى وسطهم ، غلام ما خرجتْ لحيته ، قد جُعل فى فيه خشبة مخروطة ، وشُدّت إلى قفاه كهيئة اللجام،

وذلك أنه لما أدخِل الرّقة كان يشتم الناس إذا دعوا عليه ، ويبزق عليهم، فَفُعِل ذلك به لئلا يشتم إنسانًا .

ثم أمر المكتفى ببناء دكّة فى المصلّى العتيق من الجانب الشرقىّ ، تكسيرها عشرون ذراعًا فى عشرين ذراعًا ، وارتفاعها نحو من عشرة أذرُع ، وبِنىَ لها درج يصعد منها إليها . وكان المكتفى خلّف مع محمد ابن سليمان عساكره بالرّقة عند منصرَفه إلى مدينة السلام ، فتلقّط محمد ابن سليمان مَنْ كان فى تلك الناحية من قُوّاد القرمطىّ وقضاته وأصحاب شُرَطه ، فأخذهم وقيّدهم ، وانحدر والقوّاد الذين تخلّفوا معه إلى مدينة السلام على طريق الفرات ، فوافَى باب الأنبار ليلة الخميس لاثنتى عشرة خلت من شهر ربيع الأول ، ومعه جماعة من القوّاد ، منهم خاقان المفلحىّ ومحمد بن إسحاق بن كنداجيق وغيرهما : فأمِر القوّاد الذين ببغداد بتلقّى محمد بن سليمان والدخول معه ، فدخل بغداد وبين يديه نيّف وسبعون أسيرًا ، حتى صار إلى الثريّا ، فخُلع عليه ، وطُوّق بطوق من ذهب وسُوّر بسوارين من ذهب ، وخُلِع على جميع القوّاد القادمين معه ، وطُوّقوا وسُوّروا وصُرِفوا إلى منازلهم ، وأمِر بالأسرى إلى السجن .

وذكر عن صاحب الشامة أنه أخذَ وهو فى حبس المكتفى سكرّجة من المائدة التى تدخل إليه فكسرها ، وأخذ شظيّة منها فقطع بها بعض عروق نفسه ، فخرج منه دم كثير ، ثم شَدّ يده . فلما وقف المولّى خدمته

على ذلك سأله : لِمَ فعل ذلك ؟ فقال : هاج بى الدم فـأخرجته . فترِك حتى صلح ، ورجعت إليه قوّته .

ولما كـان يوم الاثنين لسبع بَقين مـن شهـر ربيع الأوّل أمر المكتـفى القوّاد والغلمان بـحضور الدّكة التى أمر ببنائهـا ، وخرج من الناس خلقٌ كثير لحضورها ، فحضروها ، وحضر أحمد بن محمد الواثقىّ وهو يومئذ يلى الشرطة بمدينة السلام ومحمد بن سليمان كاتب الجيش الدّكة ، فقعدا عليها ، وحمِل الأسرى الذين جاء بهِم المكتفى معه من الرَّقة والذين جاء بهم محمد بن سليمان ومَنْ كان فى السجن من القَرامطة الذين جُمعوا من الكوفة ، وقومٌ من أهل بغداد كـانوا على رأى القرامطة ، وقومٌ من الرّفوغ مـن سـائر البلدان من غـير القـرامطة – وكـانوا قليلا – فـجىء بهم على جمـال ، وأحضِروا الدّكـة ، ووقفـوا على جمـالهم ، ووكِّل بكلّ رجل منهم عونان ، فقيل : إنهم كانوا ثلثمـائة ونيّفًا وعشرين ، وقيل ثلثمائة وستين ، وجىء بالقرمطىّ الحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ؛ ومعه ابن عمـه المعروف بالمدّثر على بغل فى عماريّة ، وقد أسـبِل عليهما الغشاء ، ومعهما جماعـة من الفرسان والرّجّالة ، فصعد بهما إلى الدكة وأقعدا ، وقدّم أربعة وثلاثون إنسانا من هؤلاء الأسارى ، فقُطعت أيديهم وأرجلهم ، وضُربت أعناقهم واحدًا بعد واحد ، كان يُؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فـيقطع يمنى يديه ، ويحلّق بها إلى أسـفل ليراها الناس ، ثم تُقطع رجله اليسرى ، ثم يسـرى يديه ، ثم يمنى رجليه ؛ ويُرمى بما قطِع

منه إلى أسفل ، ثم يقـعَد فيمـدّ رأسه ، فيضرُب عنقـه ، ويرمَى برأسه وجثـته إلى أسفـل . وكانت جمـاعة من هؤلاء الأسرى قلـيلة يضجّون ويستغيثون ، ويحلفون أنهم ليسوا من القرامطة .

فلما فُرِغ من قتل هؤلاء الأربعة والـثلاثين النفس - وكانوا من وجوه أصحـاب القرمطىّ - فيمـا ذكر - وكـبرائهم قُدّم المدّثر ، فـقطعت يداه ورجـلاه وضربت عنقـه ، ثم قدّم القـرمطىّ فـضُرِب مائتى سـوط ، ثم قطعت يداه ورجلاه ، وكوِىَ فغُشِىَ عليه ، ثم أخـذ خشب فأضرمت فيه النار ، ووضع فى خواصره وبطنه ، فـجعل يفتح عينيه ثم يغمـضهما ؛ فلما خافـوا أن يموت ضُربت عنقه ، ورُفع رأسه على خشـبة ، وكبّر مَن على الدكة وكبّر سـائر الناس . فلما قُتِل انصرف القوّاد ومَنْ كـان حضر ذلك الموضع للنظر إلى ما يُفعل بالقرمطىّ . وأقام الواثقىّ فى جماعة من أصحـابه فى ذلك الموضع إلى وقت العشاء الآخـرة ، حتى ضُرِب أعناق باقى الأسرى الذين أحضروا الدّكة ؛ ثم انصرف .

فلمـا كان من غـد هذا اليـوم حُملت رءوس القـتلى من المصلّى إلى الجسـر وصُلِب بَدَن القرمطىّ فى طرف الجسـر الأعلى ببغداد ، وحـفرت لأجسـاد القتلى فى يوم الأربعـاء آبار إلى جانب الدّكـة ، وطُرحت فيـها وطُمّت ، ثم أمِر بعد أيام بهدم الدكة ففُعل .

ولأربع عشرة خلتْ من شهر ربيع الآخر وافى بغداد القاسم بن سيما

منصـرفًا عن عـمله بطريق الفـرات ، ومـعه رجـل من بنى العُلَيص من أصحاب القـرمطى صاحب الشامة ؛ دخل إليه بأمان ، وكـان أحد دعاة القرمطىّ ، يكنى أبا مـحمد . وكان سبب دخـوله فى الأمان أنّ السلطان راسلَه ، ووعده الإحسان إن هو دخل فى الأمان ؛ وذلك أنه لم يكن بقى من رؤساء القرامطة بنواحى الشآم غيره ، وكان من موالى بنى العليص ، فرّ وقـتَ الوقعـة إلى بعض النواحى الغامـضة ، فـأفلت . ثم رغب فى الدّخول فى الأمان والطاعـة خوفًا على نفسه ، فوافَى هو ومَنْ مـعه مدينة السلام ، وهم نَيّفٌ وستون رجلا ، فأومنوا وأحسِن إليهم ، ووُصِلوا بمال حمِل إليهم ، وأخرج هو ومَنْ معـه إلى رَحبة مالك بن طَوْق مع القاسم ابن سيـما ، وأجرِيت لهم الأرزاق ، فلمـا وصل القاسم بن سيـما إلى عمله وهم معـه ، أقاموا معـه بمدّة ، ثم أجمعوا على الغـدر بالقاسم بن سيـما ، وئلتمـروا به ، ووقف على ذلك من عزمهم ، فـبادرهم ووضع السيف فـيهم فأبـارهم ، وأسِر جمـاعة منهم ، فـارتدع مَنْ بقى من بنى العليص ومواليـهم ، وذلّوا ، ولزموا أرض السَّماوة وناحـيتها مـدة حتى راسلهم الخَـبـيث زكرويه ، وأعلـمهم أنّ مما أوحى إلـيه ، أن المعـروف بالشيخ وأخاه يُقتلان ، وأن إمامَه الذى يوحَى إليه يظهر بعدهما ويظفر.

*

سنة ٢٩٣ أهم الأحداث :

[ذكر الخبر عن ظهور أخى الحسين بن زكرويه]

وفى هذا الشهر من هذه السنة ورد الخبر أن أخًا للحسين بن زكرويه المعروف بصاحب الشامة ظهر بالدّالية من طريق الفرات فى نفر ، وأنه اجتمع إليه نفر من الأعراب المتلصّصة ، فسار بهم نحو دمشق على طريق البرّ ، وعاث بتلك الناحية ، وحارب أهلها ، فنُدب للخروج إليه الحسين ابن حمدان بن حمدون ، فخرج فى جماعة كثيرة من الجند ، وكان مصير هذا القرمطىّ إلى دمشق فى جمادى الأولى من هذه السنة . ثم ورد الخبر أنّ هذا القرمطىّ صار إلى طَبريّة فامتنعوا من إدخاله ، فحاربهم حتى دخلها ، فقتَل عامة مَنْ بها من الرّجال والنساء ، ونهبها ، وانصرف إلى ناحية البادية .

وفى شهر ربيع الآخر ورد الخبر بأنّ الداعية الذى بنواحى اليمن صار إلى مدينة صنعاء ، فحاربه أهلُها ، فظفر بهم ، فقتَل أهلها ، فلم ينفلت منهم إلا القليل ، وتغلّب على سائر مدن اليمن .

*

عاد الخبر إلى ما كان من أمر أخى ابن زكرَوَيه

فذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : أنفذ زكرويه بن مهرويه بعدما قتِل ابنه صاحبُ الشامة رجلاً كان يعلّم الصبيان بقرية

تدعى الزّابوقة من عمل الفلُّوجة ، يسمّى عبد الله بن سعيد ، ويكنى أبا غانم ، فتسمّى نصرًا ليعمى أمره ، فدار على أحياء كَلْب يدعوهم إلى رأيه ، فلم يقبلْه منهم أحد سوى رجل من بنى زياد ، يسمّى مقدام بن الكيّال ، فإنه استغوى له طوائف من الأصبغيّين المنتمين إلى الفواطم وسواقط من العُليصيّين وصعاليك من سائر بطون كلب ، وقصد ناحية الشآم ، وعاملُ السلطان على دمشق والأردنّ أحمد بن كَيْغَلَغ ، وهو مقيم بمصر على حرب ابن خَليج ، الذى كان خالف محمد بن سليمان ، ورجع إلى مصر ، فغلب عليها ، فاغتنم ذلك عبد الله بن سعيد هذا ، وسار إلى مدينتىْ بُصرى وأذرعات من كُورتىْ حُوران والبثنيّة ، فحارب أهلها ثم آمنهم . فلما استسلموا قَتل مقاتلتَهم ، وسبى ذراريّهم ، واستصفى أموالَهم ، ثم سار يؤمّ دمشق ، فخرج إليه جماعة ممن كان مرسومًا بتشحينها من المصريّين كان خلّفهم أحمد بن كيغلغ مع صالح بن الفضل ، فظهروا عليهم ، وأثخنوا فيهم . ثم اغترّوهم ببذل الأمان لهم، فقتلوا صالحًا ، وفضُّوا عسكره ، ولم يطمعوا فى مدينة دمشق ، وكانوا قد صاروا إليها ، فدافعهم أهلُها عنها ، فقصدوا نحو طبريّة مدينة جند الأردن ، ولحق بهم جماعة افتتنت من الجند بدمشق ، فواقعهم يوسف ابن إبراهيم بن بغازدى عامل أحمد بن كَيْغَلَغ على الأردنّ ، فكسروه وبذلوا الأمان له ، ثم غدروا به ، فقتلوه ونهبوا مدينة الأردنّ ، وسبوا النساء ، وقتلوا طائفةً من أهلها ، فأنفذ السلطان الحسين بن حمدان لطلبهم ووجوهًا من القوّاد ، فورد دمشق وقد دخل أعداء الله طبريّة ، فلما اتّصل خبره بهم عطفوا نحو السماوة ، وتبعهم الحسين يطلبهم فى

برّيّة السمّاوة ، وهم ينتقلون من ماء إلى مـاء ، ويعوّرونه حتى لجئوا إلى الماءين المعروفين بـالدّمْعَانة والحالة ، وانقطع الحسين من اتـباعهم لعـدمه الماء، فعاد إلى الرّحـبه ، وأسرى القرامطةُ مع غـاويهم المسمّى نصراً إلى قرية هِيت ، فـصبّحوهـا وأهلُها غارّون لتـسع بقين من شعـبان مع طلوع الشـمس ، فنهب رَبَضُهـا ، وقـتل مَنْ قدر علـيه من أهلـها ، وأحـرق المنازل، وانتهب السفن التى فى الفرات فى غرضتها ، وقتل من أهل البلد - فيما قيل - زهاء مائتى نفس ما بين رجل وامرأة وصبىّ ، وأخذ ما قدر عليه من الأموال والمتاع ، وأوقر - فيما قيل - ثلاثة آلاف راحلة ، كانت معـه زهاءَ مائتى كـر حنطة بالمعدّل ومن البُرّ والعطر والسـقط جمـيع ما احتاج إليه ، وأقام بها بقية ايوم الذى دخلها والذى بعده ، ثم رحل عنها بعد المغرب إلى البرّيّة . وإنما أصاب ذلك مِنْ رَبَضِها ، وتحصّن منه أهلُ المدينة بسورها ، فـشخص محـمد بن إسحـاق بن كُنْداجيق إلى هِيت فى جماعة من القوّاد فى جيش كثيف بسبب هذا القرمطىّ ، ثم تبعه بعد أيام مؤنس الخازن .

وذكر عـن محمـد بن داود ، أنه قال : إنّ القـرامطة صبّحـوا هِيت وأهلُها غارّون ، فـحماهم الله منه بسورها ، ثم عجّل السلطان مـحمد بن إسحـاق بن كُنْدَاجيق نحـوهـم ، فلم يقيمـوا بها إلا ثلاثًا ، حـتى قرب محـمد بـن إسحاق مـنهم ، فهـربوا منه نحو الماءين ، فنهـض محـمد نحوهم، فوجـدهم قد عورّوا المياه بينه وبينهم ، فأنفِذت إليـه من الحضرة الإبل والروايا والزاد. وكـتب إلى الحسين بن حـمدان بالنفـوذ من جـهة

الرّحبـة إليهم ليجتـمع هو ومحمـد بن إسحاق على الإيقـاع بهم ، فلما أحسّ الكلبيّون بإشراف الجند عليهم ، ائتـمروا بعدوّ الله المسمّى نصراً ، فوثبـوا عليه ، وفـتكوا به، وتفـرّد بقتله رجلٌ منهم يقـال له الذئب ابن القائم ، وشخص إلى البـاب متقربًا بما كـان منه ، ومستأمنًا لبقـيتهم ، فأسنيت له الجائزة ، وعُرِف له مـا أتاه ، وكُفّ عن طلب قومه ، فمكث أيامًا ثم هرب ، وظفرت بطلائع محمد بن إسحاق برأس المسمّى بنصر ، فاحتـزّوه وأدخلوه مدينة السلام ، واقـتتلت القرامطة بعده ، حـتى وقعت بينهمـا الدماء ، فصار مقـدام بن الكيّال إلى ناحية طيّئ مفـلتًا بما احتوى عليـه من الحُطام ، وصارت فـرقـة منهم كرهـت أمورهم إلى بنى أسـد المقـيمـين بنواحى عين التـمر ، فـجـاوروهم وأرسلوا إلى السلطان وفـداً يعتذرون مما كـان منهم ، ويسألون إقرارهم فى جوار بنى أسد ، فـأجيبوا إلى ذلك، وحصلت على الماءين بقية الفَسَقة المستبصرة فى دين القرامط .

وكـتب السلطان إلى حـسين بن حمـدان فى معـاودتهم باجـتثـاث أصولـهم ، فأنفـذ زكرويه إليـهم داعيـةً له من أكَرة أهل السواد يـسمّى القـاسم بن أحمـد بن علىّ ، ويعـرف بأبى مـحمّد ، من رسـتاق نهـر تلحانا، فـأعلمهم أنّ فعل الذئب بـن القائم قد أنفـره عنهم ، وثقّل قلبه عليهـم ؛ وأنهم قد ارتدّوا عن الدين ، وأن وقت ظهـورهم قد حـضر . وقـد بايع له بالكُوفة أربعـون ألف رجل ، وفى سـوادها أربعمـائة ألف رجل، وأن يوم موعدهم الذى ذكـره الله فى كتابه فى شأن مـوسى كليمه ﷺ ، وعدوه فرعون إن يقول : ﴿ مَوْعِدُكم يَوْمُ الزِّينةِ وأن يُحْشَرَ النَّاس ضُحًى ﴾ . وأن زكرويه يأمـرهم أن يخفوا أمرهم ، ويظهـروا الانقلاع

نحو الشآم ، ويسيروا نحو الكوفة حتى يصبّحوها فى غداة يوم النحر ، وهو يوم الخميس لعشر تخلو من ذى الحجة سنة ثلاث وتسعين ومائتين ، فإنهم لا يُمنعون منها ، وأنه يظهر لهم ، وينجز لهم وعَده الذى كانت رسله تأتيهم به ، وأن يحملوا القاسم بن أحمد معهم . فامتثلوا أمره ، ووافوا باب الكوفة ، وقد انصرف الناس عن مصلاّهم مع إسحاق بن عمران عامل السلطان بها ، وكان الذين وافوا باب الكوفة فى هذا اليوم – فيما ذكر – ثمانمائة فارس أو نحوها ، رأسهم الذبلانىّ بن مهروبه من أهل الصوءر . وقيل إنه من أهل جُنْبُلاَء ، عليهم الدّروع والجواشن والآلة الحسنة ، ومعهم جماعة من الرّجالة على الرّواحل ، فأوقعوا بمَنْ لحقوه من العوامّ ، وسلبوا جماعَة ، وقتلوا نحواً من عشرين نفسًا . وبادر الناس إلى الكوفة فدخلوها ، وتنادَوْا السلاح . فنهض إسحاق بن عمران فى أصحابه ، ودخل مدينة الكوفة من القَرامطة زهاء مائة فارس من الباب المعروف بباب كندة ، فاجتمعت العوامّ وجماعة من أصحاب السلطان ، فرموّهم بالحجارة وحاربوهم ، وألقوا عليهم السُّتُر ، فقتل منهم زهاء عشرين نفسًا ، وأخرجوهم من المدينة ، وخرج إسحاق ابن عمران ومَن معه من الجند ، فصافُّوا القرامطة الحرب . وأمر إسحاق ابن عمران أهل الكوفة بالتحارس لئلاّ يجد القرامطة غِرّة منهم ، فيدخلوا المدينة ، فلم يزل الحرب بينهم إلى وقت العصر يوم النّحر ، ثم انهزمت القرامطة نحو القادسيّة ، وأصلح أهل الكوفة سورَهم وخندقهم ، وقاموا مع أصحاب السلطان يحرُسون مدينَتهم ليلاً ونهاراً .

وكتب إسحاق بن عمران إلى السلطان يستمدّه ، فندب للخروج إليه جماعة من قوّاده ، منهم طاهر بن علىّ بن وزير ووصيف بن صوار تكين التركىّ والفضل بن موسى بن بغا ، وبشر الخادم الأفشينىّ وجنى الصّفوانىّ ورائف الخزرىّ. وضمّ إليه جماعةً من غلمان الحُجَر وغيرهم . فشخص أولهم يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة ، ولم يرأس واحد منهم ؛ كلٌّ واحد منهم رئيس على أصحابه . وأمر القاسم بن سيما وغيره من رؤساء الأعراب بجمع الأعراب من البوادى بديار مُضَر وطريق الفرات ودَقُوقاء وخانيجَار وغيرها من النواحى ، لينهضوا إلى هؤلاء القرامطة إذْ كان أصحاب السلطان متفرّقين فى نواحى الشآم ومصر ، فمضت الرسائل بذلك إليهم ، فحضروا . ثم ورد الخبر فيها بأنّ الذين شخصوا مدداً لإسحاق بن عمران خرجوا إلى زكرويه فى رجالهم ، وخلّفوا إسحاق بن عمران بالكوفة مع مَنْ معه من رجاله ليضبطها ، وصاروا إلى موضع بينه وبين القادسيّة أربعة أميال ، يعرف بالصوءر وهى فى البرّية فى العرض ، فلقيهم زكرويه هنالك فصافّوه يوم الاثنين لتسع بقين من ذى الحجة .

وقد قيل كانت الوقعة يوم الأحد لعشر بَقِين منه ، وجعل أصحاب السلطان بينهم وبين سوادهم نحواً من ميل ، ولم يخلّفوا أحداً من المقاتلة عنده ، واشتدّت الحرب بينهم . وكانت الدبْرة أوّل هذا اليوم على القرمطىّ وأصحابه حتى كادوا أن يظفروا بهم ، وكان زكرويه قد كَمَن

بطاقة تقييم الكتب



«**مكتبة الأسرة**» ترحب بآرائك واقتراحاتك فيما يتعلق بالسلاسل التى تصدرها المكتبة ومدى قدرتها على تلبية رغبات القارىء لمتعته وفائدته.

الرجاء ملء البيانات التالية بعد قراءة الكتاب وإعطاء ورقة الاستبيان إلى البائع أو إرسالها إلى العنوان التالى:

مكتبة الأسرة، رئيس هيئة الكتاب - كورنيش النيل - رملة بولاق

١ - عنوان الكتاب

المؤلف

مكان الشراء

معلومات عن المشترى :

إملأ وضع علامة (✓) فى الخانة التى تطابق الرد

☐ ذكر ☐ أنثى ☐ السن

● لماذا اخترت هذا الكتاب؟

☐ السعر ☐ اسم المؤلف ☐ مادة الكتاب

● التعليم :

☐ إعدادى ☐ ثانوى ☐ جامعى ☐ ماجستير/ دكتوراه

● العمل :

☐ لا يعمل ☐ يعمل ☐ المهنة

● أى نوع من سلاسل مكتبة الأسرة يعجبك أكثر؟

☐ الأعمال الإبداعية ☐ الأعمال الفكرية

☐ الأعمال العلمية ☐ الأعمال الدينية

☐ كتب التراث ☐ روائع الأدب العربى

☐ روائع الأدب العالمى للناشئين

☐ أمهات الكتب المترجمة ☐ الشباب

● هل تقترح إضافة أعمال أخرى إلى الكتب وما هى؟

● كيف تقيم محتويات الكتاب بصفة عامة؟

☐ جيد جدًا ☐ جيد ☐ ضعيف

● **كم كتابا تشتريها سنوياً من مكتبة الأسرة كل عام؟**

☐

● **هل استمتعت بهذا الكتاب؟**

☐ نعم ☐ لا

● **إذا كانت الإجابة بنعم فماذا أعجبك فى الكتاب؟**

☐ المعلومات الجديدة

☐ القيم الفنية الرفيعة

☐ جمال الأسلوب وعمق التجربة الإنسانية

☐ القيم الإنسانية

● **هل تعرف شيئاً عن الكاتب؟**

☐ نعم ☐ لا

● **هل تعتزم قراءة أعمال أخرى لنفس المؤلف؟**

☐ نعم ☐ لا

● **هل تقترح إضافة أعمال أخرى لنفس المؤلف؟**

☐ نعم ☐ لا

- **هل لديك ملاحظات على طباعة الكتاب من حيث:**

الإخراج الفنى ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ ضعيف

الطباعة ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ ضعيف

الغلاف ☐ ممتاز ☐ جيد ☐ ضعيف

- **هل ترشيح هذا الكتاب لأحد غيرك؟**

☐ نعم ☐ لا

☐ من الأقارب ☐ من الأصدقاء

- **اكتب باختصار رأيك فى مشروع مكتبة الأسرة...**

....

....

....

....

....

....

....

عليهم كميناً من خلفهم ، ولم يشعروا به . فلما انتصف النهار خرج الكمين على السواد فانتهبه ، ورأى أصحاب السلطان السيف من ورائهم ، فانهزموا أقبَحَ هزيمة ، ووضع القرمطيّ وأصحابه السيفَ فى أصحاب السلطان ، فقتلوهم كيف شاءوا ، وصبر جماعة من غلمان الحجَر من الخزر وغيرهم ، وهم زهاء مائة غلام ، وقاتلوا حتى قُتلوا جميعًا بعد نكاية شديدة نكَوْها فى القرامطة ، واحتوت القرامطة على سواد أصحاب السلطان فحازوه ، ولم يُفلت من أصحاب السلطان إلاّ مَنْ كان فى دابته فَضْل فنجا به ، أو من أثخن بالجراح ، فطرح نفسَه فى القتلى ، فتحامل بعد انقضاء الوقعة حتى دخل الكوفة . وأخذ للسلطان فى هذا السوّاد ، مما كان وجّه به مع رجاله من الجمّازات ، عليها والآلة زهاء ثلثمائة جمّازة ، ومن البغال خمسمائة بغل .

وذكر أن مبلغ مَنْ قتل من أصحاب السلطان فى هذه الوقعة سوى غلمانهم والحمّالين ومَنْ كان فى السواد ألف وخمسمائة رجل ، فقوىَ القرمطيّ وأصحابه بما أخذوا فى هذه الوقعة ، وتطرّف بيادرَ كانت إلى جانبه ، فأخذ منها طعامًا وشعيراً ، وحمله على بغال السلطان إلى عسكره ، وارتحل من موضع الوقعة نحواً من خمسة أميال فى العرض إلى موضع يقرب من الموضع المعروف بنهر المثنيّة ، وذلك أن روائح القتلى آذتهم .

وذكر عن محمد بن داود بن الجراح أنه قال : وافى بابَ الكوفة

الأعرابُ الذين كان زكرويه راسلهم ، وقد انصرف المسلمون عن مصلاّهم مع إسحاق بن عمران ، فتفرّقوا من جهتين ، ودخلوا أبيات الكوفة ، وقد ضربوا على القاسم بن أحمد داعية زكرويه قُبّة ، وقالوا : هذا ابن رسول الله ﷺ ، ودعَوْا : يال ثارات الحسين ! يعنون الحسين بن زكرويه المصلوب بباب جسر مدينة السلام ، وشعارهم : يا أحمد يا محمد - يعنون ابنىْ زكرويه المقتولين . وأظهروا الأعلام البيض ، وقدّ رُوا أن يستغووا رعاع الكوفيّين بذلك القول ، فأسرع إسحاق بن عمران ومَنْ معه المبادرة نحوهم ، ودفعهم وقتل مَنْ ثبت له منهم ، وحضر جماعةٌ من آل أبى طالب ، فحاربوا مع إسحاق بن عمران ، وحضر جماعة من العامّة ؛ فحاربوا . فانصرف القرامطة خاسئين ، وصاروا إلى قرية تدعى العُشيرة من آخر عمل طَسُّوج السالحين ونهر يوسف مما يلى البرّ من يومهم ، وانفذوا إلى عدوّ الله زكرويه بن مهرويه مَن استخرجه من نقير فى الأرض ، كان متطمّرًا فيه سنين كثيرة بقرية الدرية وأهل قرية الصوءر يُتلفونَه على أيديهم ، ويسمّونه ولىّ الله ، فسجدوا له لمَا رأوْه ، وحضر معه جماعة من دعاته وخاصّته ، وأعلمهم أنّ القاسم بن أحمد أعظم الناس عليهم مِنّة ، وأنه ردّهم إلى الدّين بعد خروجهم منه ، وأنهم إذا امتثلوا أمَره أنجز مواعيدَهم ، وبلّغهم آمالَهم . ورمز لهم رموزًا ؛ وذكر فيها آيات من القرآن ، نقلها عن الوجه الذى أنزلت فيه ، واعترف لزكرويه جميع مَنْ رسخ حبُّ الكفر فى قلبه ؛ من عربىّ ومولًى ونبَطىّ وغيرهم أنه رئيسهم المقدّم ، وكهفهم وملاذُهم ، وأيقنوا بالنصر وبلوغ

الأمل . وسار بهم وهو محجوب عنهم يدعونه السيّد ، ولا يبرزونه لمن في عسكرهم ، والقاسم يتولّى الأمور دونه ، ويُمضيها على رأيه إلى مؤاخر سقْى الفرات من عمل الكوفة ، وأعلمهم أنّ أهل السواد قاطبة خارجون إليه ، فأقام هنالكَ نَيّفًا وعشرين يومًا ؛ يبثّ رسلَه في السواديّين مستلحقين ، فلم يلحق بهم من السواديين إلا من لحقته الشقوة ، وهم زهاء خمسمائة رجل بنسائهم وأولادهم ، وسرّب إليه السلطان الجنود ، وكتب إلى كلّ مَنْ كان نفذ نحو الأنبار وهيت لضبطها خوفًا من معاودة المقيمين ، كانوا بالماءين إليها بالانصراف نحو الكوفة ، فعجّل إليهم جماعة من القوّاد منهم ، بشر الأفشينيّ وجنى الصفوانيّ ونحرير العمريّ، ورائق فتى أمير المؤمنين والغلمان الصّغار المعروفين بالحُجَريّة ، فأوقعوا بأعداء الله بقرب قرية الصوءر ، فقتلوا رجّالتهم وجماعة من فرسانهم ، وأسلموا بيوتَهم في أيديهم ، فدخلوها ، وتشاغلوا بها ، فعطفت القرامطة عليهم فهزموهم .

وذُكر عن بعض مَنْ ذُكر أنه حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح، وقد أدخِل إليه قوم من القرامطة ، منهم سِلْفُ زكرويه ، فكان مما حدّثه أن قال : كان زكرويه مختفيًا في منزلي في سرداب في داري عليه باب حديد ، وكان لنا تنُّور ننقله ، فإذا جاءنا الطلب وضعنا التنُّور على باب السرداب ، وقامت امرأة تسجُره ؛ فمكث كذلك أربع سنين ، وذلك في أيام المعتضد . وكان يقول : لا أخرج والمعتضد في الأحياء .

ثم انتقل من منزلى إلى دار قد جُعل فيها بيت وراء باب الدار ، إذا فُتح باب الدار انطبق على باب البيت ، فيدخل الداخل فلا يرى بابَ البيت الذى هو فيه ، فلم يزل هذه حالة حتى مات المعتضد ، فحينئذ أنفذ الدّعاة ، وعمل فى الخروج .

ولما ورد خبر الوقعة التى كانت بين القرمطىّ وأصحاب السلطان بالصوءر على السلطان والناس ، أعظموه ، ونُدب للخروج إلى الكوفة مَنْ ذكرت من القوّاد، وجُعلت الرئاسة لمحمد بن إسحاق بن كُنْدَاج ، وضمّ إليه جماعة من أعراب بنى شيبان والنّمِر زهاء ألفىْ رجل ، وأعطُوا الأرزاق .

*

سنة ٢٩٤ أهم الأحداث :

[خبر زكرويه بن مهرويه القرمطىّ]

ولاثنتى عشرة خلتْ من المحرم ورد الخبر مدينة السلام أن زكرويه بن مهرويه القرمطىّ ارتحل من الموضع المعروف بنهر المثنية ، يريد الحاجّ ، وأنه وافَى موضعًا بينه وبين واقصة أربعة أميال .

وذكر عن محمد بن داود أنهم مَضَوْا فِى البرّ مِن جهة المشرق ، حتى صاروا بالماء المسمّى سَلْمان ، وصار ما بينهم وبين السواد مفارة ، فأقام بموضعه يريد الحاجّ ينتظر القافلة الأولى ، ووافت القافلة واقصة

لستٍّ - أو سبعٍ - خلوْن من المحرّم ، فـأنذرهم أهلُ المنزل ، وأخبروهـم أنّ بينهم وبينهم أربعة أميال . فـارتحلوا ولم يقيموا ، فنَجْوا . وكان فى هذه القافلـة الحسن بن موسى الربَعىّ وسـيمـا الإبراهيمىّ ، فلمـا أمعنت القافلة فى السّيْر صار القـرمطىّ إلى واقصة ، فسألهم عن القافـلة فأخبروه أنها لم تُقم بواقصـة ، فاتّهمهم بإنذارهم إياهم ، فقـتَل من العلافين بها جماعة ، وأحرق العلف ، وتحصّن أهلُها فى حصنهم ، فأقام بها أيامًا ، ثم ارتحل عنها نحو زبالة .

وذكر عن مـحمـد بن داود أنه قال : إن العـساكر سـارت فى طلب زكرويه نحـو عيون الطفّ ، ثم انصرفت عـنه لما علمت بمكانه بسلْمان ، ونفذ عـلاَّن بن كُشمَرْد مع قطعة من فـرسان الجيش متـجرّدة على طريق جادّة مكة نحو زكـرويه ، حتى نزلوا السَّبال ، فمضى نحو واقـصة حتى نزلها بعد أن جازت القـافلة الأولى ، ومرّ زكرويه فى طريقه بطوائف من بنى أسد ، فأخـذها من بيوتها معه ، وقصـد الحاجّ المنصرفين عن مكة ، وقصد الجادّة نحوهم ، ووافَى خبرُ الطير من الحوفة لأربع عشر بقيتْ من المحـرّم من هذه السنة بأن زكـرويه اعتـرض قـافلة الخُراسانيّة يوم الأحـد لإحدى عـشرة خلت من المحرّم بالعقـبة من طريق مكة ، فحـاربوه حربًا شديدًا ، فساءلهم : وقال : أفيكم السلطان ؟ قالوا : ليس معنا سلطان ، ونحن الحاجّ ، فـقال لهم : فامـضوا فلستُ أريدكم. فلما سـارت القافلة تَبِعها فأوقع بها ، وجعل أصحابه ينخـسون الجمال بالرّماح ، ويبعجونها

بالسيوف ، فنفرت ، واختلطت القافلة ، وأكبّ أصحاب الخبيث على الحاجّ يقتلونهم كيف شاءوا ، فقتلوا الرّجال ، والنساء ، وسَبْوا من النساء من أرادوا ، واحتووا على ما كان فى القافلة ، وقد كان لقىَ بعض مَنْ أفلت من هذه القافلة عَلاّن بن كشمرد ، فسأله عن الخبر ، فأعلمه ما نزل بالقافلة الخراسانية ، وقال له : ما بينك وبين القوم إلاّ قليل ، والليلةَ أوفى غد توافى القافلة الثانية ، فإن رأوا علَما للسلطان قويتْ أنفسهم . والله الله فيهم ! فرجع عَلاّن من ساعته ، وأمر مَنْ معه بالرجوع ، وقال : لا أعرّض أصحاب السلطان للقتل ، ثم أصعد زكرويه ، ووافته القافلة الثانية .

وقد كان السلطان كتب إلى رؤساء القافلتين الثانية والثالثة ومن كان فيهما من القوّاد والكُتّاب مع جماعة من الرّسل الذين تنكّبوا طريق الجادّة بخبر الفاسق وفعله بالحاجّ ، ويأمرهم بالتحرّز منه ، والعدول عن الجادّة نحو واسط والبصرة ، أو الرجوع إلى فَيْد أو إلى المدينة ، إلى أن يلحق بهم الجيوش . ووصلت الكتب إليهم فلم يسمعوا ولم يقيموا ، ولم يلبثوا . وتقدّم أهل القافلة الثانية وفيها المبارك القُمّىّ وأحمد بن نصر العُقيلىّ وأحمد بن علىّ بن الحسين الهمذانىّ ، فوافوا الفجرة ، وقد رحلوا عن واقصة ، وعوّروا مياهها ، وملئوا بركها وبئارها بجيف الإبل والدوابّ التى كانت معهم ، مشقّقة بطونها ، ووردُوا منزل العقبة فى يوم الاثنين لاثنتى عشرة خلتْ من المحرّم ، فحاربهم أصحاب القافلة الثانية . وكان

أبو العشائر مع أصحابه فى أوّل القافلة ومبارك القمّىّ فيمن معه فى ساقتها، فجرت بينهم حربٌ شديدة حتى كشفوهم ، وأشرفوا على الظفر بهم ، فوجد الفجرة من ساقتهم غِرّة ، فركبوهم من جهتها ، ووضعوا رماحهم فى جنوب إبلهم وبطونها ، فطحنتهم الإبل وتمكنوا منهم ، فوضعوا السيف فيهم فقتلوهم عن آخرهم ، إلا مَن استعبدوه ، ثم أنفذوا إلى ما دون العقبة بأميال فوارس لحقوا المُفلتة من السيف ، فأعطوْهم الأمان ، فرجعوا فقتلوهم أجمعين ، وسَبَوْا من النساء ما أحبُّوا ، واكتسحوا الأموال والأمتعة . وقُتل المبارك القمىّ والمظفر ابنه ، وأسر أبو العشائر ، وجُمع القتلى ، فُوضع بعضهم على بعض ، حتى صاروا كالتلّ العظيم . ثم قطعت يدا أبى العشائر ورجلاه ، وضُربت عنقه ، وأطلِق من النساء مَنْ لم يرغبوا فيه ، وأفلت من الجرحى قومٌ وقعوا بين القتلى ، فتحاملوا فى الليل ومضوا ؛ فمنهم من مات ، ومنهم مَنْ نجا وهم قليل . وكان نساءُ القرامطة يَطُفْن مع صبيانهم فى القتلَى يعرضون عليهم الماء ، فمَن كلّمهم أجازوا عليه .

وقيل إنه كان فى القافلة من الحاجّ زهاء عشرين ألف رجل ، قُتل جميعهم غير نفر يسير ممّن قوىَ على العدوّ ، فنجا بغير زاد ومَن وقع فى القتل وهو مجروح ، وأفلت بعدُ ، أو مَن استعبدوه لخدمتهم .

وذكر أن الذى أخذوا من المال والأمتعة الفاخرة فى هذه القافلة قيمةُ ألفى ألف دينار .

وذكـر عن بعض الضـرّابين أنه قال : وردت علينـا كتب الضـرّابين بمصـر أنكم فى هذه السنة تسـتـغنون ، قـد وجّه آل ابن طولون والقـوّاد المصريون الذين أشخـصوا إلى مدينة السلام ، ومَنْ كـان فى مثل حالهم فى حمل ما لهم بمصر إلى مدينة السلام ، وقد سبكوا آنية الذهب والفضة والحلى نِقَاراً ، وحـمل إلى مكة ليـوافـوا به مدينة الـسلام مع الحـاجّ ، فحُمِل فى القوافل الشاخصة إلى مدينة السلام ، فذهب ذلك كله .

وذكر أن القرامطة بينا هم يقتلـون وينهبون هذه القافلة يوم الاثنين ، إذ أقـبلت قافـلة الخُراسانيـة ، فـخرج إليـهم جـماعـةٌ من القـرامطة ، فواقعـوهم، فكان سبيلُهم سَبيلَ هذه . فلما فـرغ زكرويه من أهل القافلة الثانية من الحاجّ . وأخذ أموالهم ، واستباح حريمَهم ، رحل مِنْ وقته من العقبـة بعد أن ملأ البرك والآبار بهـا بالجِيَف من الناس والدواب . وكان ورد خبـر قطعه على القـافلة الثانيـة من قوافل السلطان مديـنة السلام فى عشيَّة يوم الجمعة لأربع عـشرة بقيت من المحرّم ، فعظم ذلك على الناس جميعًا وعلى السلطان ، وندب الوزيرُ العبـاس بن الحسن بن أيوب محمدَ ابن داود بن الجـرّاح الكاتب المتـولّى دواوين الخـراج والضيـاع بالمشـرق وديوان الجـيش للخروج إلى الكوفـة ، والمقـام بها لإنفـاذ الجيـوش إلى القرمطىّ . فخرج من بغداد لإحدى عشرة بقيتْ من المحرّم ، وحمل معه أموالا كثيرة لإعطاء الجند .

ثم سار زكرويه إلى زُبالة فنزلهـا ، وبثّ الطلائع أمامه ووراءه خوفًا

من أصحاب السلطان المقيمين بالقادسيّة أن يلحقوه ، ومتوقّعًا ورود القافلة الثالثة التى فيها الأموال والتجار . ثم سار إلى الثعلبيّة ، ثم إلى الشقوق ، وأقام بها بين الشقوق والبِطان فى طرف الرّمل فى موضع يعرف بالطليح ، ينتظر القافلة الثالثة ، وفيها من القوّاد نفيس المولدىّ وصالح الأسود ، ومعه الشَّمْسَة والخزانة . وكانت الشمسة جعل فيها المعتضد جوهرًا نفيسًا .

وفى هذه القافلة ، كان إبراهيم ابن أبى الأشعث - وإليه كان قضاء مكة والمدينة وأمر طريق مكة والنفقة فيه لمصالحه - وميمون بن إبراهيم الكاتب - وكان إليه أمر ديوان زمام الخراج والضياع - وأحمد بن محمد ابن أحمد المعروف بابن الهزلَّج والفرات بن أحمد بن محمد بن الفرات ، والحسن بن إسماعيل قرابة العباس بن الحسن - وكان يتولى بريد الحرمين - وعلىٌّ بن العباس النَّهيكىّ . فلما صار أهل هذه القافلة إلى فَيْد بلغهم خبرُ الخبيث زكرويه وأصحابه ، وأقاموا بِفَيْد أيامًا ينتظرون تقويةً لهم من قِبَل السلطان .

وقد كان ابن كشمرد رجع من الطريق إلى القادسية فى الجيوش التى أنفذها السلطان معه وقبله وبعد .

ثم سار زكرويه إلى فَيْد ، وبها عامل السلطان ، يقال له حامد بن فيروز ، فالتجأ منه حامد إلى أحد حصنيها فى نحو من مائة رجل كانوا معه فى المسجد ، وشحَّن الحصن الآخر بالرّجال ، فجعل زكرويه يراسل

أهل فَيْد ، ويسألهم أن يُسلموا إليه عـاملهم ومَنْ فيها من الجند ، وأنهم إن فعلوا ذلك آمنهم ، فلم يجيبوه إلى ما سأل . ولمّا لم يجيبوه حاربهم، فلم يظفر منهم بـشىء . قال : فلما رأى أنه لا طاقـة له بأهلها ، تنحّى فصار إلى النِّباج ، ثم إلى حُفَير أبى موسى الأشعرىّ .

وفى أول شهـر ربيع الأول أنهض المكتفى وصـيف بن صوارتكين – ومعه من القـوّاد جماعة – فنفذوا من القادسـية على طريق خَفَّان ، فلقيَه وصيف يوم السبت لثـمان بقين من شهر ربيع الأول ، فـاقتتلوا يومَهم ، ثم حجـز بينهم الليل ، فباتوا يتحـارسون ، ثم عاودهم الحـرب ، فقتَل جيش السـلطان منهم مقـتلة عظيمـة ، وخلصوا إلى عـدوّ الله زكرويه ، فضربه بعض الجند بالـسيف على قفاه وهو مولٍّ ضـربةً اتصلت بدماغه . فأخذ أسـيرًا وخليفتـه وجماعة من خـاصّته وأقربائه ، فيهم ابـنه وكاتبه وزوجته ، واحتوى الجند على ما فى عـسكره . وعاش زكرويه خمسة أيام ثم مات ، فشُقّ بطنه ، ثم حُمِل بهيئته ، وانصرف بمن كان بقى حيًّا فى يديه من أسرى الحاج .

*

سنة ٢٩٥ :

فى ذى القعـدة لاثنتى عشـرة ليلة خلت منها تُوفِّىَ المكـتفى بالله ، وكانت خـلافته ست سنين وسـتة أشهر وتسـعة عشـر يومًا ، وكان يوم

تُوُفِّيَ ابنَ اثنتين وثلاثين سنة يومئذ ، وكان وُلد سنة أربع وستين ومائتين ، ويكنى أبا محمد ، وأمه أم ولد تركية تسمى جيجك . وكان رَبَعةً جميلا ، رقيق اللون ، حسن الشعر ، وافر الجُمّة ، وافر اللحية .

خلافة المقتدر :

ثم بويع جعفر بن المعتضد بالله ؛ ولما بويع جعفر بن المعتضد لقّب المقتدر بالله وهو يومئذ ابن ثلاث عشرة سنة وشهر واحد وأحد وعشرين يومًا . وكان مولده ليلة الجمعة لثمان بقين من شهر رمضان من سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، وكنيته أبو الفضل ، وأمه أمُّ ولد يقال لها شغب، فذُكر كان فى بيت المال يوم بويع خمسة عشر ألف ألف دينار . ولما بويع المقتدر غسّل المكتفى وصلّى عليه ، ودُفن فى موضع من دار محمد بن عبد الله بن طاهر .

*

وفيها كانت بين عجّ بن حاج والجند وقعة فى اليوم الثانى من أيام منى ، قتِل فيها جماعة، وجرح منهم ، بسبب طلبهم جائزة بيعة المقتدر، وهرب الناس الذين كانوا بمنى إلى بستان ابن عامر ، وانتهب الجند مضرب أبى عدنان ربيعة بن محمد بمنى . وكان أحد أمراء القوافل، وأصاب المنصرفين من مكة فى منصرفهم فى الطريق من القطع والعطش

أمر غليظ ، مات من العطش - فيما قيل - منهم جماعة . وسمعت بعض من يحكى أن الرجل كان يبول فى كفّه ، ثم يشربه .

سنة ٢٩٦ أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من اجتماع جماعة من القوّاد والكتاب والقضاة على خلع المقتدر ، وتناظرهم فيمن يُجعل فى موضعه ، فاجتمع رأيهم على عبدالله بن المعتزّ وناظروه فى ذلك ، فأجابهم إلى ذلك على ألاّ يكون فى سفك ذلك دم ولا حرب ، فأخبروه أنّ الأمر يسلّم إليه عفواً ، وأن جميع مَنْ وراءهم من الجند والقواد والكتاب قد رضُوا به . فبايعهم على ذلك ، وكان الرأس فى ذلك محمد بن داود بن الجراح وأبو المثّنى أحمد ابن يعقوب القاضى ، وواطأ محمد بن الجراح جماعةٌ من القوّاد على الفتْك بالمقتدر والبيعة لعبد الله بن المعتزّ ، وكان العباس بن الحسن على مثل رأيهم . فلما رأى العباس أمره مستوثقًا له مع المقتدر ، بدا له فيما كان عزم عليه من ذلك ، فحينئذ وثب به الآخرون فقتلوه ، وكان الذى تولّى قتلَه بدرٌ الأعجمى والحسين بن حمدان ووصيف بن صوارتكين ، وذلك يوم السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول .

ولما كان من غدِ هذا اليوم - وذلك يوم الأحد - خلع المقتدر القوّاد والكتاب وقضاة بغداد ، وبايعوا عبد الله بن المعتزّ ، ولقبوه الراضى

بالله . وكان الذى أخذ له البيعة على القوّاد وتولّى استحلافهم والدعاء بأسمائهم محمد بن سعيد الأزرق كاتب الجيش .

وفى هذا اليوم كانت بين الحسين بن حمدان وبين غلمان الدار حرب شديدة من غدوه إلى انتصاف النهار .

وفيه انفضّت الجموع التى كان محمد بن داود جمعها لبيعة ابن المعتزّ عنه ؛ وذلك أن الخادم الذى يدعى مؤنسًا حمل غلمانًا من غلمان الدار فى شَذَوات فصاعد بها وهم فيها فى دجْلة ، فلما حاذوا الدار التى فيها ابن المعتزّ ومحمد بن داود صاحوا بهم ، ورشقوهم بالنّشاب ، فتفرّقوا ، وهربَ مَنْ فى الدار من الجند والقوّاد والكتاب ، وهرب ابن المعتزّ ، ولحق بعض الذين بايعوا ابن المعتزّ بالمقتدر ، فاعتذروا بأنه منِع من المصير إليه ، واختفى بعضهم فأخِذوا وقتِلوا وانتهب العامة دور ابن داود والعباس بن الحسن ؛ وأخِذ ابن المعتزّ فيمن أخِذ .

وفى يوم السبت لأربع بقين من شهر ربيع الأول منها سقط الثلج ببغداد من غدوة إلى قدر صلاة العصر، حتى صار فى الدور والسطوح منه نحو من أربعة أصابع ، وذكر أنه لم ير ببغداد مثل ذلك قطّ .

سنة ٣٠٠ هـ أهم الأحداث :

فمن ذلك ما كان من ورود بغداد رسول من العامل على بَرْقة ، وهى من عمل مصر ، إلى ما خلفها بأربع فراسخ ، ثم ما بعد ذلك من عمل

المغرب بخبر خارجىّ خرج عليه ، وأنه ظفر بعسكره ، وقتل خلقًا من أصحابه ، ومعه آذان وأنوف مَنْ قتله فى خيوط وأعلام من أعلام الخارجىّ .

وفى هذه السنة كَثُرت الأمراض والعِلل ببغداد فى الناس ، وذُكر أنّ الكلاب والذئاب كلبت فيها بالبادية ، فكانت تطلب الناس والدوابّ والبهائم ، فإذا عضّت إنسانًا أهلكته .

سنة ٣١٩ :

لعشر بَقِين من شعبان ورد الخبر بأن القرامطة صاروا إلى الكوفة ونزلوا المصلّى العتيق ، وعسكروا به ، وأقاموا ، وسارت قطعة منهم فى مائتى فارس فدخلوا الكوفة ، وأقاموا بها خمسة وعشرين يومًا مطمئنين ، يقضون حوائجهم ، وقتلوا بها خلقًا كثيرًا من بنى نمير خاصة ، واستبقوا بنى أسد ، ونهبوا أهراء[١] فيها غلات كثيرة للسلطان وغيره .

وفى هذه السنة وصل زكرى الخراسانى إلى عسكر سليمان بن أبى سعيد الجنّابىّ فجازله عليهم من الحيلة والمخرقة[٢] ما افتضَحوا به وعبدوه، ودانوا له بكلّ ما أمرهم ، به من تحليل المحارم وسفك الرجل دم أخيه وولده وذوى قرابته وغيرهم ، وكان السبب فى وصوله إليهم أن القرامطة لما انتشروا فى سواد الكوفة ، وانتهوا إلى قصر ابن هبيرة فأسروا جماعة

(١) الأهراء : المخازن .   (٢) المخرقة : الخرافات .

من الناس كانوا يستعبدون مَنْ يأسرونه ويستخدمونهم ، وكان له عرفاء ، على كَلّ طائفة منهم ، فأُسر زكرى هذا فيمن أسر ، وملكه بعض المترأسين عليهم ، فمّا أراد الاستخدام به تمنّع عليه وأسمعه ما كرِه . فلما نظر إلى قوة كلامه وجرأته هابه وأمسك عنه ، وأنهى خبره إلى الجنّابى سليمان فأحضره من وقته وخلابه ، وسمع كلامه ففتنه ، ودان له . وأمر أصحابه بأن يدينوا له ويتبعوا أمره وَحَمله فى قبّة وستره عن الناس ، وشغل خبُره القرامطةَ وانصرفوا به راجعين إلى بلادهم ، وهم يعتقدون أنه يعلم الغيب ويطلّع على ما فى صدورهم وضمائرهم ، وهُو كان بعد ذلك السبب لهلاكهم وفنائهم ، على ما يأتى ذكره فى الوقت الذى دار فيه ذلك .

وفى شعبان من هذا العام شَغَب الرجّالة ببغداد ، فحاربهم يلبق وسائر الجيش ولم تزل الحرب بينهم من غدوة إلى صلاة العصر ، وخرج من الفرسان جماعة ، وقتِل من الرجّالة عدد كثير ، ثم تمزّق الفريقان فى الأزقة والدروب وانصرفوا .

ذكر صرف الكلواذى عن الوزارة وتقليدها الحسين بن القاسم :

وكان عبيد الله بن محمد الكلواذىّ أحد الكتاب الكبار ، وجليلاً فى نفوس الناس ، فقدّروا أن فيه كفاية وقياماً بالأمر ، فأقام على الوزارة شهرين وهو متبّرم بها لضيق الأموال وكثرة الاعتراضات واتّصال

الشغب وقعود العمال عن حمل المال . فاستعفى وقال : ما أصلُح أن أكون وزيرًا ، فصُرِف عنها ولم يعنّف ولا نُكِب ولا تعرّض أحد من حاشيته ، وانصرف إلى داره ، واستقرّ فيها فأمر الخليفة بحفظها وصيانتها .

وكان أبو الجمال الحسين بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وهب يَسْعى دَهْرَه فى طلب الوزارة ، ويتقرّب إلى مؤنس وحاشيته ويصانعهم حتى جاز عندهم ، وملأ عيونهم ، وكان يتقرّب إلى النصارى الكتّاب بأن يقول لهم : إنّ أهلى منكم وأجدادى من كباركم ، وإن صليبًا سقط من يد عبيد الله بن سليمان جدّه فى أيام المعتضد . فلمّا رآه الناس ، قال : هذا شىء تتبرك به عجائزنا ، فتجعله فى ثيابنا من حيث لا نعلم ، تقرّبًا إليهم بهذا وشبهه ، يعنى إلى مؤنس وأصحابه .

وقلّد الوزارة يوم السبت سلْخ شهر رمضان وخلع عليه فى هذا اليوم، وركب فى خلعه وسائر القواد والناس على طبقاتهم معه وأخذه بوله فى الطريق ، فنزل وهو فى خلع الخليفة إلى دار محمد بن فتح السعدىٍّ فبال عنده ، وأمر له بزيادة فى رزقه ونزله ، وركب منها إلى داره .

ذكر عزل الوزير الحسن بن القاسم وتقديم الفضل بن جعفر مكانه والتياث الأحوال ببغداد:

ولما ظن الوزير أبو الجمال الحسين بن القاسم أنّ الأمر قد صفا له بخروج مؤنس من بغداد ، وأنْ قد تمّ له ما أراد ، وقع فيما تكره ، فكثر عليه الشغب ، واشتدت مطالبة الجند له بالأموال ، وخيّب الله ظنه فيما أراد ، ولازمه الحشم فى دار الخليفة ملازمةً قبيحة ، وأهانوه وأهانوا الخليفة بسببه ، فثقُل على قلب المقتدر ، ولم يزل يقاسى منه كل صعب وذَلول ، فأمر بالقبض عليه فى عَقِب ربيع الآخر ، وولّى الفضل بن جعفر ابن الفرات مكانه ، وقد كان مشهوراً عند الخاص والعامّ بالفضل والعلم والكتابة وترك الهزل واللهو ، وكان هو وأبو الخطاب من خيار آل الفرات . فلمّا صارت إليه الوزارة أظهر الحبّ له والرغبة فيها ، فعجب الناس من ذلك .

سنة ٣١٢ هـ:

ورد الخبرُ بأن أبا طاهر بن أبى سعيد الجنّابىّ ، ورد الهَبِير[١] لتلقّى حاج سنة إحدى عشرة وثلثمائة فى رجوعهم ، فأوقع بقافلة بغداديّة ،

(١) الهبير : رمل فى طريق مكة ، ذكره ياقوت وقال : « كانت عنده وقعة ابن أبى سعد الجنابى بالحاج سنة ٣١٢ ، قتلهم وسباهم وأخذ أموالهم » .

وأقـام بقيـة القوافل بعـيـداً ، فلمَّا فَنِيت أزوادُهم ، ارتحلوا ، فأشـار أبو الهيْجاء بن حمدان[1] ، وإليه [طريق] الكوفـة وطريق مكة ، أن يعدل بهم إلى وادى القرى ، فامتنعوا وساروا ، فـسار معهم مخاطرًا حتى بلغ الهبير ، فلقيهم أبو طاهر ، فقـتل منهم خَلْقًا ، وأسر أبا الهيجاء وأحمدَ ابن بدر عمّ السيدة أم المقتدر ، وجماعة من خَدَم السلطان وحَرَمه .

وسار أبو طاهر إلى هَجَر ، وسـنُّه إذ ذاك سبع عشـرة سنة ، ومات من استـأسره بالجفـاء والعطش . فنال أهلَ بغداد منالاً عظيـمًا ، وخرج النّساء منشرات الشعور مسـودّات الوجوه فى الجانبين ، فانضاف إليهنّ من حَرَم الّذين نكبهَم ابنُ الفـرات ، فانبسط لسان نصر عـليه ، وأشار على المقتدر بمكاتبة مؤنس .

ورجـمت العـامـة طيّار ابن الفـرات ، وامـتنعـوا من الصَّلَوات فى الجماعات .

وأنفذ المقتدر بياقوت وابنيه محمد والمظفّر إلى الكوفة ، ورجعوا حين علموا انصرافَ القرمطىّ إلى بلَده .

وجمع المقتدر بالله ابن الفرات ونصر وأمرهما بالتظافر .

---

(١) هو عبد الله بن حمدان التغلبى ولاّه المكتفى بالله الموصل ثم عزله المقتدر سنة ٣٠١ . ثم عاد فـقلده طريق خـراسان والدينور ، فكان يتـولّى ذلك وهو فى بغداد ثم قـتله رجال المقتدر سنة ٣١٧ . ابن الأثير حوادث سنة ٣١٧ .

وقدم مؤنس إلى بغداد ، فركب إليه ابنُ الفرات ، ولم تَجْرِ له عادة بذلك ، فخرج مؤنس إلى باد داره ، وسأله أن ينصرف ، فلم يفعل ، وصعد إليه من طيّاره حتى هنّأه بمقدمه ، وخرج معه مؤنس حتى نزل الطّيار .

وكاتب المقتدرُ ابنَ أبى الساج لحرب القَرْمطىّ ، لمّا عرف خروجَه من هَجَر لثلاث بقين من شهر رمضان ، وأطلق له من بيت مال الخاصة فيما ينصرف إلى علوفه بين واسط والكوفة ، فحمل ذلك إليه سلامة الطُّولونىّ ، وأمر علىُّ بن عيسى عمَّال الكوفة بإعداد الميرة لابن أبى الساج .

وسار ابنُ أبى الساج من واسط طالبًا الكوفة لليلةٍ بقيتْ من شهر رمضان .

وأطلَق أبو طاهر القرمطىّ أسارَى الحاجّ ، ووصَل الكوفة ، فأخذ ما أُعِدّ ليوسف وهو مائةُ كُرٍّدقيقًا[1] ، وألف كُرّ شعيراً .

ووافَى يوسفُ الكوفَة بعد وصول أبى طاهر إليها بيوم ، وكان قد تقاربَ عسكرًا بن أبى السّاج ، وعسكرُ أبى طاهرٍ فى يوم ضباب وأحسّ به أبو طاهر وكَفَّ عنه ، فالتقوْا يوم السبت لتسع خَلَوْن من شوال على

---

(١) الكرّ : مكيال لأهل العراق .

باب الكوفة ، فاحتقر ابنُ أبى الساج عسكَر أبى طاهر ، وأزْرَى عليهم ، وتقدّم يكتب كتابَ الفتح قبل اللِّقاء ، تهاونًا بأمره .

والتفتَ أبو طاهر إلى رفيق له ، وقد سمع صوت البوقات والدبادب ، وكانت عظيمةً جدًّا فقال: ما هذا الزَّجَل[1] ؟ فقال له صاحبه : فشل ، فقال : أجَلْ .

وعبّأ ابنُ أبى الساج رجالَه ، وكان القتالُ من ضُحَى النَّهار إلى غروب الشمس ، فَثَبت يوسفُ ثباتًا حسنًا ، وجُرِح من أصحاب أبى طاهر بالنُّشّاب خَلْق ، وكان أبو طاهر فى عمارية مع مائتى فارس من أصحابه ، فَنزَل حينئذ وركب ، فسار وحملَ بنفسه ، وحمل يوسف بنفسه ، واشتبكت الحرْب ، فأسِر يوسفُ بن أبى الساج بعد أن ضُرِبَ على جنبه ضربة ، وقد اجتهد به أصحابُه فى الانصراف فأبى ، وقُتِل من أصحابه خَلْقٌ وانهزم الباقون .

وحُمِل يوسف إلى عسكر أبى طاهر فضُرِب له خيْمة وفُرِشت ، ووكِّل به ، واستُدْعِىَ بطبيب يعرف بابن السَّبْعى ليعالجه ، فقال : قد جَمَد الدّمُ على وجهه ، وأريد ماء حاراً . قال : فلم أجِدْ عندهم ما أسخن فيه الماء ، فغسله بالماء البارد وعالجه . قال الطبيب : وسألنى يوسف عن اسمى وأهلى ، فأخبرته فوجدتُه بهم عارفًا أيّام تقلده الكوفة ، فعجبتُ من فهمه وقلّة اكتراثه بما هو فيه .

---

(١) الزجل ، أى الصوت .

ولما وصل الخبر بغداد دخل الناس كآبةٌ عظيمة وعوَّلوا على الانحدار إلى واسط .

ثم وَرد الخبرُ بأنّ أبا طاهر رحَل يوم الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة خلَتْ من شوال ، قاصداً عَيْن التَّمر ، فاستأجر عليٌّ بن عيسى خمسمائة سميريَّة[1] ، وجعل فيها ألفَ رجل ، وأنفذ الطيارات والشذآت وحوّلها إلى الفرات وأقعد فيها الحجريّة ، لمنع القرمطىّ من عُبور الفرات ، وتقدّم إلى القوّاد بالمسير إلى الأنبار لحفظها .

فلما كان يوم الجمعة ، رأى أهلُ الأنبار خيلَ أبى طاهر مقبلةً فى الجانب الغربىّ ، فقطعوا الجسر ، وعَبَر أبو طاهر فى مائة رجل ، ونَشَبت الحرب بينه وبين أصحاب السلطان ، وعُقِد الجسر وخالف سوادُ الّذين فى السفن إلى الجسر ، فأحرقوه ، فبقى أبو طاهر فى الجانب الشرقىّ وعسكرُه وسوادُه فى الغربّى ، وحالتِ السفن بينهما .

وورد الخبر إلى بغداد بقتل أبى طاهر القوّاد ، فخرج نصر الحاجب ، ومعه الحجرية والرَّجالة ومَنْ ببغداد من القوّاد ، وبين يديه علَم الخلافة ومعه أبو الهيجاء [عبد الله] بن حمدان وإخوته .

فاجتمع مع نصر ما يزيدُ على الأربعين ألف رجل ، فنزل على قنطرة

(١) السميرية : نوع من السفن وكذلك الشذآت .

النهـر المعروف بَزَبارا ، بناحـية عقـرقوف ، على فَرْسـخين ، ولحق به موسى ، وأشار أبو الهـيجاء على نصر الحاجب وعلـى مؤنس بقطع نهر زبارا ، وألحّ عليه فى ذلك ، فلمّا رآه مـتثاقلاً عن قـبول رأيه ، قال له : أيُّها الأستاذ اقطعها واقطع لحيتى معها ، فقطعها حينئذ .

وسار أبـو طاهر ، ومَنْ معـه من أصحـابه فى الجانب الشـرقىّ من الفـرات قاصـدين نهـر زبارا ، فلما صـار على فـرسخ واحد من عـسكر السلطان آخر يوم الاثنين لعشر خلوْن من ذى القعدة بات موضعه .

وباكر المسـيرَ إلى القنطرة ، فوجـدها مقطوعة ، وتقدَّم أحـدُ رجاله أسودُ يقـال له صُبْح ، فما زال النُّشـاب يأخـذه حتى صار كـالقنفذ وهو مقدِم ، فرأى القنطرةَ مقطوعةً فرجع .

ولما علم أصحـاب أبى طاهر أن النهر لا يُخيض ، عادوا القـهقرى من غـير أن يولُّوا ظهـرهم ، وعـادوا إلى الأنبار ولـم يجسـر أحَدٌ على اتِّباعهم .

وكان الرأى فـيما أشـار به أبو الهيجـاء من قطع القنطرة ، ولولاها لعبَر القرمطىُّ غير مُسْتَهْولٍ لجمع أصحاب السّلطان .

وطمع مؤنسٌ المظفَّر فى سواده وتخليص ابن أبى الـساج من أقياده ، فأنفذ بليق حـاجبه وجماعة من القواد ، وسـتة آلاف من غلمان يوسف ، فبلغ ذلك أبا طاهرٍ ، فانفرد من أصحابه ماشيًا ، وعبر فى زَوْرقٍ صيّاد ،

دفع إليه ألف دينـار ، فاجتـمع مع قومه فلم يثـبت له بليق ، وبَصُر أبو طاهر بابن أبى السـاج وقد خـرج من الخيْمة لما نـاداه غلمانه ، فـقال له القرمطى : طمعت فى تخليصهم لك ! وأمر به فضُرِبت عنقه وأعناق مَنْ كان معه من الأسرى .

واحتال أبو طاهر فى عُبُور أصحـابه من الجانب الشرقىّ إلى الجانب الغربّى ، وكان مع أبى طاهر سبعمائة فارس وثمانمائة راجل .

وتقدم علىّ بن عيسى إلى نازوك بالطواف ببغداد ليلاً ونهاراً ، لكثرة العيّارين ، وأباح دم من ظهر منهم ، ونقل الناسُ أمـتعتَهم إلى منازلهـم خوفًا منهم ، واكترى وجوه الناس السفن .

وقصد القرمطى هِيت ، وبها هارون بن غريب وسعيد بن حمدان ، فقـاتلا مَنْ عـلا سورها بالمنجنيـقات، بعـد أن قتلوا من أصـحابـه عدّة فسكنتْ نفوس مَنْ ببغداد . وتصدّق المقتدر بمائة ألف درهم .

وبادر علىّ بن عـيسى إلى المقتـدر بالله وقال له : إنما جـمع الخلفاءُ الأموال ليُقـسموا بها الأعـداء ، ولـم تلحق المسلمين مضرّة كـهذه من هذا الكافر الذى أوقع بالحـاجّ سنة اثنتى عشرة وثلثـمائة ، ولـم يبق فى بيت مال الخـاصّة شىء ، فاتّق الله يا أمـيرَ المؤمنين . وخـاطب السيـدة حتى تُطلق ما عندها من مـال ادّخرته لشديدة ، فهـذه أمها[1] ، وإن لـم يـكن هناك شىء فالحقْ خراسان .

---

(١) أى أم الشدائد ؛ يريد تهويل الأمر .

فدخل إلى السيدة ، فأعطته خمسمائة ألف دينار ، وكان فى بيت مال الخاصّة مثلها .

وأخبر علىّ بن عيسى ، بحال رجل شيرازىّ يكاتب القرمطىّ وأتباعه، فأحضره فأقَّر أنه من أصحابه ، لم يتبعه إلاّ لحقٍّ رآه معه وقال له : لسنا كالرافضة الحمقى ، الذين يدّعون إمامًا منتظرًا ، وإمامنا فلان ابن فلان ابن إسماعيل بن جعفر ، فأمر به فحُبِس بعد الضرب ، فامتنع فى حبسه من الطعام والشراب فمات بعد ثلاثة أيام .

وكتب القرمطىّ إلى مؤنس كتابًا ، فى آخره :

قولوا لمؤنسكم بالراح كن أنسًا
واستتبع الرَّاحَ سُرْنايًا ومِزْمارا
وقد تمثلتَ عن شوق تقاذفَ بى
بيتًا من الشعر للماضين قد سارَا
« نَزُوركمْ لا نؤاخذكم بجفوتكُمْ
إنّ الكريم إذًا لم يُسْتَزَرْ زارا »
ولا نكون كأنتمْ فى تخلّفكمْ
مَنْ عالج الشَّوْقَ لم يستبعِد الدار

وله أشعار كثيرة تركناها لشياعتها .

سنة ٣١٦ هـ:

دخل مؤنس المظفر بغداد ، وبعده نَصْر .

ونُدِب مؤنس للخروج إلى الرقّة ، لمّا وصل الخبرُ باستيلاء القرمطىّ على الرَّحْبَة حربًا وقتله أهلَها ورَهِبت الأعراب أبا طاهر ، حتّى كانوا يتطايرون عند سماع ذكرِه ، وجَعل على كلّ بيت منهم دينارًا بعد أن نَهَبهم .

وعاود القرمطىّ هِيتَ ، فلم يقدِرْ عليها ، فأتى الكوفة ، وجاء إلى قصر ابن هبيرة[1] فخرج إليه نصر ، فحُمّ نصر حمّى شديدة حادّة ، فسار مع ذلك إلى شورا وبينه وبين القرمطىّ نهرُها ، واستخلَف على الجيش أحمد بن كيغلغ ، وأنفذ معه الجيش .

وانصرف القرمطىّ من غير لقاء .

واشتَّدتْ علّة نصر ، وجَفّ لسانه من شدّة الحُمّى ، فأعيد إلى بغداد، فمات فى الطريق فى عمارية[2] ، فأنفذ المقتدرُ علَى الجيش هارون ابن غريب ، فدخل بهمْ بغداد .

---

(١) قصر ابن هبيرة ينسب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة .

(٢) العمارية : هودج يجلس فيه .

وأقام عليٌّ بن عيسى حين رأى تنكُّرَ الأمور على الاستعفاء من الوزارة، والمقتدر يجلبه ، ويستوقفه حتى أعفاه .

واستوزر المقتدر أبا عليّ بن مُقْلة ضرورة ، وذلك بمشورة نصر ، فلمّا كان فى النِّصف من شهر ربيع الأول ، أنفذ المقتدر هارونَ بن غريب، ومعه أبو جعفر بن شيرزاد للقبض على عليّ بن عيسى ، فاستحيا هارون من لقائه بذلك ، فأنفذ أبا جعفر ، فوجده مستعداً قد لبس خفًّا وعمامة وطيلسانًا ، واستصحب مصحفًا ومقراضًا ، وسأل هارونَ صيانة حَرَمه ، ففعل وحُمِل مع أخيه أبى عليّ إلى دار السلطان ، فاعتقله فى دار زيدان القَهْرمانة ، وكانت وزارته هذه سنةً وأربعة أشهر ويومين .

سنة ٣٣٢ هـ:

ولليلة بقيت من شوال ، ورد الخبر بموت أبى طاهر سليمان بن الحسين الهجريّ ، فالجُدِريّ فى منزله بهَجَر ، فى شهر رمضان وصار الأمر لإخوته .

وكان ابن سنبر يُعادِى المعروف بأبى حفص الشريك ، وأحضَر رجلاً أصبهانيًا ، فكشف له دفائن وأسراراً ، كان أبو سعيد[1] كشفها

(١) هو ابو سعيد الجنّابى .

لابن سَنْبر وحدَه ، من غير أن يُعلِم ابنَه أبا طاهر بذلك ، وقال الأصبهانى : امض إلى أبى طاهر[1] ، وعرّفه أن أباه كان يدعو إليك وعرّفه الأسرار .

فلمّا أتاه وخبّره اعتقد صدقه ، وقام بين يديه وسلّم الأمر إليه ، فتمكّن وقتل أبا حفص ، وكان إذا قال لأبى طاهر : إن فلانًا قد مرض، معناه شكّ فى دينهم ، فطهّره قتله أبو طاهر ولو كان أخوه . فخاف أبو طاهر على نفسه منه ، وقال : قد وقع لى فى أمره شبهة ، وليس بالرجل الذى يعرف الضمائر ويحيى الأموات ، وقال : إن أمى عليلة ، وغطّاها بإزار ، فلمّا جاء إليها الأصبهانى قال : هذه عليلة لا تبرأ فطهّروها ، أى اقتلوها ، فجلست الأمّ ، فقال له أبو طاهر وإخوته : أنت كذّاب وقتلوه.

وكان له سبعة من الوزراء أكبرهم ابن سنبر .

وكان لأبى طاهر أخَوان ، أبو القاسم سعيد بن الحسن ، وأبو العباس الفضل ابن الحسن ، وكان أمرهم واحدًا ، فكانوا إذا أرادوا حالاً خرجوا إلى الصحراء ، واتّفقوا على ما يعملون ، فإذا انصرفوا تمّموا ما عوّلوا عليه ، وكان لهم أخ متشاغل باللّذات ، لا يدخل معهم فى أمورهم .

(١) هو سليمان بن الحسن بن أبى طاهر القرمطى ايضًا .

وفى هذه السنة تُوفِّىَ أبو عبد الله البريدىّ ، بحمّى حادّة ، مكثت به سبعة أيام ، وكان بين قتله لأخيه وبين موته ثمانية أشهر .

سنة ٣٣٩ هـ :

فى هذه السنة ، رَدّ القرامطة الحجَر الأسود إلى مكة ، وكان بَجْكم قد بذَل لهم إن ردُّوه خمسين ألف دينار ، فلم يُجيبوه ، وكان بين قَلْعه وَردِّه اثنتان وعشرون سنة .

وفى هذه السنة ، كانت وزارة أبى محمد الحسن بن محمد بن هارون المهلبىّ لمعزّ الدولة ، خلع عليه معزّ الدولة القَبَاء والسيف والمنطقة ، وسارَ سُبُكْتِكين بين يديْه إلى دار الخلافة ، فخلع عليه السَّواد والسَّيْف والمِنْطقة .

سنة ٣٥٣ هـ :

استهدى القرامِطَةُ فى هذه السَّنة من سيف الدولة حديدًا ، فقلَع أبواب الرّقة ، وسدَّ مكانها ، وأُخذ كلُّ حديد بديار مُضر حتى صَنَجَات البقّالين والباعة ، وأحدوه فى الفُرات إلى هِيت وحملوه منها إلى البريّة .

سنة ٣٦٥ هـ :

تُوفِّى المعزّ بمصر ، فى شهر ربيع الآخر ، سنة خمس وستين ، ومدّة عمره خمس وأربعون سنة وسبعة أشهر ويومان ، ومدّة نظره ثلاث

وعشرون سنة وخمسة أشهر وسبعة عشر يومًا ، منها بمصر ثلاث سنين.

وقام ابنُه نِزار مقامَه ، ولقِّب بالعزيز ، فكاتب الفتكين بالاستمالة ، فأغلظ فى جوابه ، وقال : هذا بلد أخذته بالسيف ، ولا أدين لأحدٍ فيه بطاعة . فأنفذ إليه جوهرًا فى عساكر كثيرة ، فدعا أهلَ البلد وأعلمه ما قد أضلّهم ، وأنه على مفارقتهم ، فقالوا : إنْ أرواحنا دونك ، وإنا باذلون نفوسَنا دون نَفْسِك .

ولمَّا حصل جوهر بالرَّملة[1] ، كاتب الفتكين ، وعرّفه أنه قد استصحب له أمانًا ، وكتابًا بالعفو عمَّا فرّط فيه ، وخِلعًا يُفيضُها عليه ، وأموالاً ، فأجابه الفتكين إجابة مغالط ، وأحال على أهلِ دمشق فِعْل جوهر على الحرب ، وسار إليه ، فالتقيا بالشّماسية[1] ، ودامت الحرب واتصلت مدة شهرين ، وظهر من شجاعة الفتكين وغلمانه ، ما عُظِّمُوا به فى النفوس .

وعاضد الفتكين الحسنُ بن أحمد القَرْمطىّ ، واجتمعا فى خمسين ألفًا ، فانصرف جوهر إلى طبريّة ، ومنها إلى عَسْقلان ، فحاصراه بها ، وقَطعَا عنه الماء .

وكان جوهر فى الشجاعة معروفًا ، فكان يبارز الفتكين ، ويَعْرِض

---

(١) الرملة : مدينة بفلسطين وكانت قصبتها .

(٢) الشماسية : محلة بدمشق .

عليه الطاعة لصاحبـه ، فيكاد أن يجيبه فيعترضـهما القرمطىّ ، فلا يمكِّن الفتكين من ذلك .

فاجـتمـعا يومًا ، فقـال جوهر : قـد علمتَ ما يجمـعنى وإيّاك من تعظيم الدين ، وقـد طَالَتِ الْفِتْنة ، ودماءُ مَنْ هلك فى رِقـابنا ، وإن لم تُجِبْ إلى الطاعة ، فـأسألك أن تمنّ علىّ بنفسى وبأصـحابى وتذِمّ لنا ، وتكون قد جمـعتَ بين حقْن الدماء واصطناع المعروف ، فـقال الفتكين : أنا أفعلُ ، على أن أعلّق سـيفى ورمح القـرمطىّ ، على باب عَسْقلان ، وتخرج من تَحْتهما ، قال : رضيت وأخذ خاتم الفتكين على الوفاء .

وأنفـذ إليـه جـوهر مـالاً وألطافًا ، فاجـتهـد القرمطىّ بالفـتكين أن يغدر ، فلم يفـعل فخرج وخـرج جوهر وشرح لصـاحبه الحال ، فـأمر بإخراج المال ، وإثبات الرجال ، وسار جوهر على مقدّمته ، واستصحب توابيتَ آبائه .

ولما عرف الفتـكين ، والقرمطىّ الحالَ ، عاد إلى الرملة واحـتشد ، وتقارَب العسكران ، واصطفّا للقتال ، وجال الفتكين بين الصفّين ، فكبّر وحمل وطعَن وضرب .

فعَلا العـزيز على رابِية ، وعلى رأسه المِظَلّة ، وقـال لجوهر : أرنى الفتكين ، فأراه إياه ، وكان على فرسٍ أدهم بتـجفاف من مرايا ، وعليه قـزاعند ، أصـفـر وهو يطعَنُ تارة ، ويضـرب باللت أخـرى ، والنّاس يَتحامونه .

فالتفت العـزيز إلى ركابى[1] يخـتصّ به ، وقـال له : امض إلى الفـتكـين وقل له : أنا العـزيز ، وقـد أزعـجتنى من سـرير ملكى ، وأخرجتنى لمباشرة الحرب ، وأنا أسامحك بجميع ذلك ، ولك علىّ عهد الله ، بأنى أهب لك الشام بأسره ، وأجعلك اسلسهار[2] عسكرى .

فمضى الركابىّ وأعاد الرسالة ، فخرج الفتكين ، بحيث يراه الناس ، وترجّل وقبّل الأرض مراراً ، ومرّغ خـديه ، وقال : قل لمولانا ، لو تقدّم القولُ لسارعتُ ، فأمّا الآن فليس إلا ما ترى .

فعاد إلى العزيز بالجواب ، فـقال : ارجع إليه وقل له : تقرّب منّى بحيث أراك وترانى ، فإن استحققتُ أن تضرب وجهى بالسيف فافعل .

فمـضى ، فـقال الفـتكين : ما كنتُ بالذى أشـاهد طلعتـه وأنابذه الحرب ، وقد خرج الأمر عن يدى .

وحمل عند ذلك على المـيسرة فهـزَمها ، وقـتل كثيـراً من أهلها ، فحَمل العزيز ، والمظلة على رأسه ، فـانهزم الفتكين والقرمطىّ ، ووضع السيف فى عسكرهما ، فقتّل منه عشرين ألف رجل .

ومضى القرمطى هاربًا ، وبذل لمن يأتيه بالفتكين مائة ألفَ دينار .

---

(١) ركابى : من يستعان به فى الركوب .

(٢) وظيفة عندهم .

وكان الفتكين يميل إلى المفرج بن دغفل بن الجراح الطائى ، وبتمرّده لملاحته ، وشاع ذلك عنه ، فانهزم يطلبُ ساحل البحر ، ومعه ثلاثة من غلمانه ، وبه جـراح ، وقد جَهَدَه العطش ، فلقيتـه سرية فيهـا المفرّج ، فلمّا رآه ، التـمس منه ماء ، فـسـقاه ، وقـال له : سَيِّرنى إلى أهلك ، فحـمـله إلى قـرية تعـرف بلبنى ، وأحضـر له مـاء وفاكهـة ، ووكّل به جماعـة ، وبادر إلى العزيز فأخبره ، فـأعطاه المال الّذى ضَمِنه ، ومضى معه جوهر فتسلّمه .

وتقـدّم بضرب مضـارب ، وأحضـر كلَّ مَنْ حصل فى الأسـر من أصحاب الفتكـين ، فأمَّنهم وكساهم ، وجعل كلَّ واحد منهم فـيما كان فيـه ، ووصل الفتكـين فأخرج العـسكَر لاستـقبـاله ، وهو لا يشكّ أنه مقتول.

فلمّا وصل إلى النّوبة ، ورأى أصحابه مكرّمين ، وترجّل الناس له، وحُمل إلى دست قد نُصب ليجلس فـيه رَمَى بنفسه إلى الأرض ، وألقى عمامته ، وعفّر وبكَى بكاء شديداً ، وقـال : لم استحققتُ هذا الإبقاء ! وامتنع من الجلوس فى الدّست .

ووافاهُ أمينُ الدولة أبو الحسن بن عمّار ، وجوهر والخدم على أيديهم الثياب ، وأعلموه رضا العـزيز عنه ، وألبسوه الخِلَع ، وتقدَّم إلى البازيار به وأصحاب الجوارح بالمصير إلى مـضربه ، وراسله بالرّكوب إلى الصيد تأنيسًا لـه ، وقادَ إليه عـدّة دوابّ ، وعاد عـشاء ، واستـقبله الفـرّاشون

والنَّفَّاطون بالمشاعل ، ونزل وركب العزيز إليه ليلا ، فقبّل الأرض وخاطبه بما سكن منه ، وجعله حاجب حُجّابه .

وعفا عن الحسن بن أحمد القرمطىّ ، وأقام بطبرية ، وجعل له سبعين ألف دينار فى كلّ سنة ، وتوجَّه إليه جوهر ، وقاضى الرَّملة فاستخلفاه .

ومضى الفتكين مع العزيز إلى مصر ، وقد استأمن إليه أخو عزّ الدولة وابنه ، فزاد فى إكرام الفتكين .

وكان يتكبَّر على أبى الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس ، وتدرّجت الوحشة ، وأمرهما العزيز بالإصلاح ، فلم يفعل الفتكين ، فدسّ عليه أبو الفرج سمًّا فقتله ، وحَزِن عليه العزيز ، وقبض على أبى الفرج ، وقد اتّهمه بقتله نَيِّفًا وأربعين يومًا ، وأخذ منه خمسمائة ألف دينار ، ووقفت الأمور باعتزاله الظر ، فأعاده حين لم يجد منه بُدًّا .

وتزوّج الطائع بنتَ عزّ الدولة على صداق مائة ألف دينار ، وخطب أبو بكر ابن قريعة خطبة النّكاح .

وفى ذى القعدة تُوُفِّىَ أبو الحسن ثابت بن سنان بن قصرة الصّابى صاحب التاريخ .

وقسَّم ركن الدولة الممالك بين أولاده ، فجعل لعضُد الدولة فارس

وكِرْمان وأرجَّان ، ولمؤيد الدولة الرّىّ وأصبهان ، ولفخر الدولة هَمَذَان والدينور .

ومرِض ركن الدولة ، فسار إليه عضد الدولة ، وقبَّل الأرض بين يديه ، والتقيا بأصبهان ، وعمل ابْنُ العميد دعوةً ، جمع فيها ركن الدولة وأولاده الأمراء ، وخاطبهم ركن الدولة ، بأن عضد الدولة ولىُّ عهده ، وخلع ابن العميد على القوّاد ألف قباء وألف كساء .

وأخذ عزّ الدولة لسهلان بن مسافر خِلَعًا من الطائع ، ولقّبه عنه عصمة الدولة وأنفذها له .

وأنفذ إلى فخر الدولة مثلَها ، فلم يلبساها ، ولم يتلقّب سهلان مراقبةً لعضُد الدولة .

سنة ٣٦٧ هـ:

فى صفر ورد الخبرُ إلى الكوفة بوفاة أبى يعقوب يوسف بن الحسن الجنابىّ صاحب هَجَر ، فأغلقوا أسواقهمْ ثلاثة أيام ، إجلالاً لمصيبته ، ومولده سنة ثمانين ومائتين ، وعقدوا الأمر لستّة نفرٍ من أهل بيته ، أُشرِكوا فى الأمر ، وسُمُّوا السادة .

رقم الإيداع: ٩٦٤٢ / ١٩٩٩
I.S.B.N 977 - 01 - 6242 - 6